١

موسوعة

تراث مصري

أيمن عثمان

قصص نادرة وحكايات منسية من التراث المصري

دار دون

تراث مصري

أيمن عثمان



إهداء

إلى روح أحمد عثمان

والدي الغالي

اقرا الحادثة «١٠٠ سنة جريمة»



فترة الطفولة تراودنا من حين لآخر، وتشغل حيِّزًا من تفكيرنا، وخاصة تلك المرتبطة بالهوايات المفضلة مثل القراءة.. بها شكّلنا الوعي والإدراك والفَهم على مراحل، وبها حدَّدنا معالم الصداقة المناسبة.. كنا نقرأ رائعة محمود سالم سلسلة المغامرون الخمسة وكان كل منا المغامر رقم 6 يشارك في فك اللغز والبحث عن الجاني، ومع الوقت انتقلنا إلى سلسلة الشياطين الـ 13 التي حببتنا في القومية والوحدة العربية التي اختفت من أذهان الكبار بوفاة أم كلثوم.

أتذكر وقتها كانت أمهاتنا، ومن تجيد القراءة منهن كن يفضلن القراءة، ومن لا تجيد القراءة كانت تكتفي بالإنصات لمن يقرأ، وكانت ميولهن في القراءة والإنصات تتركز على "أخبار الحوادث"، وصفحات حوادث وقضايا في الصحف اليومية، ويكفي أن يرتفع صوت بائع الجرائد في الشارع بهتاف "اقرا الحادثة"، إلا وأجدني أسرع إليه شاريًا نسخة لأمي بأوامر منها، وكانت تعفيني من قراءتها لها لأنها "بتفك الخط".. هذا الشغف غير التقليدي كان يمثل لي تساؤلًا: من أين أتي هذا الشغف؟

قبل ثورة 19 ومجلة اللطائف المصورة تلعب في وجدان الشعب المسالم، وتهيئه للتغيير، وتُشكِّل مزاجه العام، وتوجهه إلى الاهتمام بالجريمة والمجرمين والإجرام.. اعتمدت في أعدادها الأسبوعية على

نشر خبر شاذ عن المجتمع "سرقة- نصب- خرج ولم يعد"، وكان النشر غالبًا في مساحة محددة ومحدودة داخل العدد، وتسويق العدد يعتمد كلية على الخبر.. القائمون على المجلة كانوا يعرفون من أين تؤكل الكتف، وخبر الجريمة كثيرًا ما كان يحرك فضول القراء، والفضول في الصحافة كارت ناجح.. مع الوقت استكان الفضول، وكان ولابد من زيادة المساحة المنشورة مع إدخال عنصر التشويق الدرامي للحفاظ على معدلات البيع، وخرج الخبر الشاذ من داخل العدد للصفحة الأولى يخطف عين المتطلع على الغلاف قبل شراء العدد، وتنوعت الأخبار لتشمل القتل والسفاحين.. واقرا الحادثة.



استثمرت المجلة عام 1920 جرائم السفاحين "بدر الدخاخني، وإبراهيم الفقير" لزيادة المبيعات، وتم اللعب على وتر الفضول والاندهاش والخوف من وجود القارئ بالقرب من مسرح عمليات السفاح رغم انتهاء الجرائم وإعدام السفاحين.. لفظ "السفاح" استخدمته الصحافة بكثرة في هذه الفترة في إشارة منها أن القاتل مختل نفسيًا يقتل من أجل لذة القتل، وجرائمه تجاوزت الثلاث ضحايا، وبعد أخبار السفاحين زادت مساحة النشر في نفس العام لتستوعب أخبار عصابة قتل السيدات ريا وسكينة، وجرائم حميدو الفارس إمبراطور الإجرام في الإسكندرية.. اقرا الحادثة.

جرائم ريا وسكينة كانت الفَيصَل في أهمية الحوادث في التسويق، وبعدها -تحديدًا عام -23 أصبحت الصفحة الأولى بالكامل، وعلى فترات متقاربة خاصة بالجريمة سواء محلية أو عالمية.. اقرأ الحادثة جناية فظيعة في الإسكندرية.. مقتل الوجية السوري توفيق بك كرم.. اقرا

الحادثة نبيلة إنجليزية مصرية تقتل نفسها قضاء وقدرًا.. اقرا الحادثة الحادث الجلل اغتيال سردار الجيش وحاكم السودان العام.. اقرا الحادثة مصرع الشقي الشرقاوي الشهير.. اقرأ الحادثة قاتل أخيه وزوجته وابنه وابنته.. اقرا الحادثة الإضراب الأخير في المحلة الكبري، وفي الصفحة الأخيرة من نفس عدد الإضراب إعلان عن إصدار جديد لهيئة تحرير المجلة بعنوان «المجلة الكبرى»، والدعاية كاريكاتير لمواطن يقرأ الإصدار الجديد، وأسفل الكاريكاتير جُمل من نوعية «ثورة.. تحطيم صناديق.. تمزيق كشوف.. رجم بالحجارة.. إطلاق النار.. ضرب.. جرح.. سِجن.. بئس هذه الأخبار» تشويق.. تشويق.. تشويق، وكانت المجلة تُخلط بين الجرائم والعمل الوطني وتساوي بينهما.. اقرا الحادثة.


اللطائف المصورة
AL LATAIF AL MUSAWARA
أكبر جناية اكتشفت في مصر
قتل النساء

فـي ذلـك الـوقـت وعـلـى خلفية هـذه الـظـروف ظهـر إمـبـراطـور الإسكندرية.. اسمه عبد الحميد عمر وشهرته حميدو، ولقبه الفارس، وهذا اللقب أطلقه عليه الخديوي عباس حلمي الثاني بعد أن هزم أحد رجال الخديوي.. لم يكن مظهره يوحي بالقوة، فهو قصير القامة ومكتنز، وكانت قوته تكمن في جمجمته الصلبة التي يضرب بها ضربة واحدة تهزم خصمه.. كان يرتدي السروال التركي الأسود، وفوقه سترة واسعة، وطربوش مغربي يتدلى زِرّه على أذنه.. يسير في شوارع بحري يتبعه

رجاله وفي أيديهم العصي، ويتابعه الناس خوفًا من بطشه.



اشتهر حميدو بين أهل المدينة بصرخته المفزعة «أنا حميدو الفارس»، ثم يهجم على أي مقهى في الطريق يحطمه.. لم يكن حميدو يقوم بعملياته الإجرامية إلا تحت تأثير الخمر والمخدرات لينتهي الأمر بمحضر سُكر وعربدة، وكان رجال البوليس في ذلك الوقت يخشون جبروته وبلطجته لأنها كانت تصل في بعض الأحيان إلى تحطيم أقسام البوليس والاعتداء على رجاله.

في أواخر أيامه افتتح مقهى على الميناء الشرقي، كان يجلس أمامه وفي يده «لَيّ» الشيشة.. لم يجرؤ أحدٌ على الجلوس على المقهى، والقيام بدور الزبون.. استغل حميدو المقهى في إدارة أعماله المشبوهة وصفقات الحشيش، وربح من ورائها عشرات الآلاف.. لم تنعم الإسكندرية بنوم هانئ إلا بعد وفاته عام 1936 عن عمرٍ تجاوز 71 عامًا.. اقرا الحادثة.

بعد حميدو الفارس سنَّت اللطائف سُنة أن الجريمة تفيد في التوزيع، وأنه مباح احتلال ما يقرب من نصف مساحة العدد للجريمة المتنوعة.. سارت المجلات والصحف الأخرى على خطى اللطائف في فترات الثلاثينات والأربعينات، فأحس القراء بحالة من التشبع الكامل من الجريمة وأخبارها وأخبار القتلة والسفاحين أمثال خط الصعيد محمد منصور، وسفاح كرموز سعد إسكندر، وإبراهيم زملك.. اقرا الحادثة.

أشهر سفاح في تاريخ الجريمة في مصر هو محمد منصور «خط الصعيد.. منصور جرفه الثأر إلى قتل سبعين فردًا من أسرة واحدة حتى استلذ القتل.. استوطن الجبل، والتف حوله المطاريد — أصحاب السوابق والمطلوبين — وبدأوا في فرض سيطرتهم على الأهالي.. فرضوا الإتاوات، وتاجروا في المخدرات.. ارتكبوا جرائمهم في وضح النهار، وسخروا من رجال البوليس.. كانوا يسطون على القطارات على مهل ودون تعجُل أو خوف من العقاب.. ذبحوا عددًا من الجنود البريطانيين، ولأن دم المحتل غالٍ، ثارت ثائرة بريطانيا، وطالبت برقبة محمد منصور.. تسببت جرائمه في إحراج عزيز باشا أباظة مدير مديرية أسيوط حين سخر منه الملك فاروق وسأله: لفظ «الخط» بنقطة فوق الخاء أم بنقطة فوق الطاء؟ بمعنى أنه الخط أم الحظ الذي يساعده دائمًا على الهرب.. ولكن الحظ سرعان ما تخلى عنه عندما تعرض لوابل من رصاص العمدة وغفره، وبادلهم الخط إطلاق الرصاص، وسقط قتيلًا بأحد وعشرين طلقة، وانتهت أسطورته مخلفًا ستمائة قتيلًا جعلوه أشهر وأخطر سفاح في تاريخ الجريمة في مصر.

في عام 1957أصدر نادي البوليس «مجلة البوليس»، وكان رئيس تحريرها الكاتب سعد الدين وَهبَة.. 50 صفحة من المقطع المتوسط إجمالي صفحات العدد الواحد «جريمةXجريمة" عن الفتوات مثل مطاريد الجبل أمثال عنتر السايح وأبو ضيف موسى وعباس الأسود، ورصد محاضر وفوازير وقصص قصيرة وأشعار ومراسلات كلها لا تخلو من الجرائم وتراثها العربي والعالمي.. شيء طبيعي ومنطقي مع مجلة يصدرها نادي البوليس "أكيد مش أدب أطفال".. اقرا الحادثة.

أشهر التغطيات الصحفية للجريمة وعناصرها، كانت تغطية جريدة "الأخبار" لأخبار السفاح محمود أمين سليمان الشهير بسفاح اللص والكلاب نسبة إلى رائعة نجيب محفوظ "اللص والكلاب" عن حياة السفاح.. الصفحة الأولى من الجريدة في الفترة ما بين 3 إلى 16 إبريل 1960 كانت مخصصة للسفاح.. في 6 إبريل نشرت الجريدة في صفحتها الأول منشور البوليس:

"وزارة الداخلية تحذّر كلًّ من يخفي أو ياوي هذا الشخص أو يتستر عليه أو يثبت من التحقيقات أنه كانت لديه معلومات تؤدي إلى ضبطه، أنه سيحاكم طبقًا للقانون.. كما قررت وزارة الداخلية صرف مبلغ الف جنية مكافاة لمن يرشد عنه أو يدلي بمعلومات تؤدي إلى ضبطه".

وفي 10 إبريل 1960 نشرت الأخبار خبر مصرع السفاح، وأسفل الخبر وبنفس الفونط "خبر عبد الناصر في باكستان، وفصلت بين الخبرين بفاصل خطي بسيط تداول القراء الخبر بهذه الطريقة "مصرع السفاح عبد الناصر في باكستان"، وفي منتصف الصفحة صورة السفاح مقتولًا بيد رجال البوليس، وهو ما أزعج السُلطات المصرية وقتها فأممت الصحافة المصرية..

بالرغم من القضاء على السفاح استمرت الجريدة تتبع حياته الخاصة، وتتساءل عن أسباب تحوُّله من لص منازل إلى سفاح.. استثمرت الجريدة حالة الشغف لدى القراء في معرفة أخبار الجريمة «الزبون دائمًا على حق».. في لقاء مع زوجته نوال تحدثت عن طفولته البائسة وقسوة الأم، وإهمال الأب، مما دفعه للسرقة، وذكرت جريمة قتل ارتكبها في لبنان وعمره 11 سنة بعد انضمامه لعصابة لبنانية، وبعد سجنه والإفراج عنه

رحَّلته السلطات اللبنانية هو وأسرته، فعاد إلى مصر يستأنف نشاطه الإجرامي، ومن السرقة إلى القتل العشوائي.. تربَّص بمحاميه لشكه في وجود علاقة بين زوجته وبينه، وبدأ سلسلة جرائم جعلته الأشهر في مجال الجريمة، اهتمام الصحفي الكبير مصطفى أمين بأخبار السفاح في جريدته، اتخذها نجيب محفوظ محورًا ارتكز عليه في روايته «اللص والكلاب»، وحاول فيها معالجة العلاقة بين سعيد مهران ورؤوف علوان.. اقرا الحادثة.



تحذر كل من يخفي او يأوي هذا
الشخص او يتستر عليه او يثبت من
التحقيقات انه كان لديه معلومات تؤدي
الى ضبطه انه سيحاكم طبقا للقانون
كما قررت وزارة الداخلية صرف
مبلغ الف جنيه مكافأة لمن يرشد عنه
او يدلي بمعلومات تؤدي الى ضبطه

وفي الثمانينات ظهرت مجلات متخصصة في الحوادث لاستثمار شغف القراء المتزايد في معرفة كل ما هو غريب ومثير حول العالم من اغتصاب وسرقة ونهب وقتل ونصب ودجل ودعارة وشذوذ واستغلال أطفال وتحرُّش وزنا محارم وقائمة تطول، ومن المجلات المتخصصة أخبار الحوادث وغيرها من المجلات التي تستثمر الجريمة وشغفنا بها، فخصصت الصحف اليومية صفحة للحوادث من عيِّنة حوادث وقضايا.. اقرا الحادثة.



مصرع السفاح

عبد الناصر في باكستان

الرئيس يصل الى كراتشي اليوم

الأهرام

محاولة اغتيال رئيس وزراء جنوب أفريقيا

وانتقل الشغف من الإعلام المقروء إلى الإعلام المرئي.. عشرات البرامج تحاول جذب المشاهدين لزيادة نسبة المشاهدة، وبالتالي زيادة نسبة الإعلانات من خلال فقرات استكملت ما بدأته اللطائف في إصابتنا بحالة التبلد تتكون فينا منذ 100 عام أخبار الجريمة.. الأمر بدأ بخبر وانتهى بنتيجة وهي حالة لامبالاة حين نسمع خبر قتل الابن لأمه، وعندما حاولنا إبراز الإيجابيات في حياتنا في الفترة الأخيرة مثل أخبار «السايس الأمين»، «الشاب الشهم» للأسف انتصرت سياسة.. اقرا الحادثة.

الأرصدة الإسترلينية

الدَّين في أبسط مفاهيمه اتفاقٌ بين دائن ومدين ووثيقة تثبت الدين وتحافظ على حقوق الدائن، وما حدث في الأرصدة الإسترلينة يختلف تمامًا عن المفهوم الحسابي للدَّين.. مَدين يستولي على مال دائن دون موافقته، ثم يترك له سندًا لا يعتمده الدائن، ثم يماطل المَدين، وأخذ يماطل ويماطل.. المَدين: بريطانيا، والدائن: مصر، والسند: أنكره المدين.. ما حدث كان تحايُلًا من جانب المسئولين البريطانين، وإهمالا وإهدارًا للمال العام من جانب المسئولين المصريين، وبقدرة قادر حوَّل البعض موضوع "الأرصدة الإسترلينية" لإنجازٍ مصريٍّ خالص يُضاف إلى عصر الملكية من إنجازات لم تشهدها مِصر لا قبلها ولا بعدها، وردَّد البعض بمفردات فيها تجميل للسرقة "بريطانيا كانت مدينة لمصر".. الأرصدة الإسترلينية حكاية لها كواليس.

قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين عام 1916 مدعومة من بريطانيا ضد تواجد الجيش التركي والنفوذ العثماني، وكان هذا الدعم يحتاج إلى تمويل القبائل العربية بالمال لصد الجيش التركي في العديد من المدن مثل: مكة والمدينة والطائف وجدة وينبع ودمشق وحلب.. تعذَّر على الجانب البريطاني توفير التمويل اللازم بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، فامتدت يد بريطانيا إلى السبائك الذهبية التي أودعها البنك الأهلي في خزانته.

استبدلت بريطانيا الذهب بحزمة من أوراق سندية تعترف بالدَّين، وكان لزامًا على البنك إصدار أوراق بنكنوت بضمان السندات البريطانية دون وجود ذهب يغطِّي نصف المصدَّر من أوراق البنكنوت، وكانت الحكومات المتواليَة ترضى بالحلول التي يضعها المسئول البريطاني محافظ البنك الأهلي للأزمات، وذلك بأن يصدر أوراق بنكنوت جديدة نظير زيادة عدد من السندات المالية على الحكومة البريطانية.. بلغت قيمة هذه السندات أربعمائة وثلاثين مليون جنيه

إسترليني، وبهذه الطريقة دفعت مصر والهند وجنوب أفريقيا فاتورة انتصار إنجلترا في الحرب .

لم تكن الأرصدة الإسترلينية وحدها ما تدين به بريطانيا إلى مصر، أضف إلى ذلك سلع وخدمات أدّتها مصر إلى إنجلترا، كانت ثمرتها حرمان وتضحيات تحملها الشعب المصري في ظروف كانت بريطانيا أضعف من أن تتحمل عبء الخسائر الفادحة في حربٍ عالمية متسعة الميادين، ولا شك أن هذا الحرمان وتلك التضحياتُ التي تحمّلناها وشعرنا بتبعتها لسنوات طويلة من فقر وزيادة أسعار واختفاء سلع تموينية تؤكد مدى مساهمتنا في تحمُّل عبءِ الخسائر الحربية مع بريطانيا.

ستنتهي مشكلة الأرصدة .. ولكن ليس الآن

سأل المندوب الدكتور زكي عبد المتعال بك وزير المالية : ماذا تم في المفاوضات الجارية بشأن الأرصدة الاسترلينية وتسوية مطالب مصر بشأنها والخلاف القائم بينها وبين الحكومة البريطانية . فقال معاليه :

— لم يجد في موضوع المفاوضات الخاصة بتسوية الأرصدة الاسترلينية شيء يستحق الاذاعة أو الاعلان . فلا تزال المفاوضات [illegible] ودية . وانتهى تبادل المذكرات مع الحكومة البريطانية بروح من التفاهم الكامل ..

على ان الذي يهمني ان اذكره ان معنى هذه الخلافات الى زوال . وقد [illegible] الرغبة كاملة في التفاهم . واستطيع ان اقول ان هذه المشكلة ستنتهي الى ما يحقق رغبة مصر حكومة وشعبا ولكن ليس الآن . فعلينا ان ننتظر بعض الوقت .

تقرير خطير .. لوكيل وزارة

قدم احد وكلاء الوزارات تقريرا مطولا الى الجهات المسئولة شاملا لوجهة نظره بشأن حركة ترقيات وتنقلات ضباط البوليس . ثم جاءت الحوادث فاكدت ما سجله في هذا التقرير تأكيدا لا يدع مجالا للشك . ومن هنا اصبح سعادة الوكيل مترددا بين البقاء في منصبه والنقل الى جهة اخرى

في يونيو 1947 عقدت مصر أول اتفاقية لتسوية هذه الديون، وخرجت مصر باتفاق هزليٍّ لا يتناسب مع حجم الدَّين، وحجم المشكلات الاقتصادية التي عاناها الشعب أثناء وبعد الحرب.. أفرجت بريطانيا عن اربعة مليون جنيه إسترلينيّ مقابل أن تسدِّدها الحكومة المصرية لمصلحة السكك الحديدية والمرافق الحكومية التي عاونت السلطات العسكرية البريطانية في الحرب؛ تنفيذًا لمعاهدة 36، والتي نصت على التزام مصر بتوفير كافة

الطُرق والمواصلات لبريطانيا، وفي الاتفاق مَنحت الحكومة المصرية الحكومة البريطانية حقّ تجميد الدين لأجل غير مسمى، على أن يتم الإفراج عنه مستقبلا.

صرَّح وزير المالية البريطاني "دالتون" في مجلس عموم بريطانيا في نفس سنة الاتفاق بأن بريطانيا غير ملزَمة أدبيًا بالوفاء بهذا الدَّين، وذلك لأن مصر أحد مستعمارتها، وأن مصر مرتبطة مع إنجلترا بمعاهدة لا يمكن تجاهلها، كما صرَّح مستر "بيفن" في إحدى خطبه أنه يتمنى أن ينسى المصريون رصيدهم المتجاوز أربعمائة مليون جنيه، واقترحت بعض الصحف البريطانية تجميد الدين مؤقتًا لحين تدبير وسائل السداد بصادرات في داخل منطقة الإسترليني، ورأى بعض رجال المال ضرورة مفاوضة الدول الدائنة على أساس تخفيض جزء من الدَّين وإيقاف الباقي لمدة خمسين عاماً بدون فوائد.. وفي عام 1948 استثمرت الحكومة البريطانية ما فعلته الحكومة المصرية في اتفاقية 1947، وقررت تجميد مستحقات مصر، ومبررها في هذه الخطوة أنها على شفة حفرة من الإفلاس بعد اقتراضها من الولايات المتحدة الأمريكية.

في أبْريل 1950، خرج الدكتور زكي عبد المتعال وزير المالية بتصريح للصحافة المصرية نشرته مجلة الإثنين والدنيا، أكد فيه أن المباحثات

الخاصة بتسوية الأرصدة الإسترلينية لا تزال قائمة، وبين الجانبين ودّ متبادل على الرغم من عدم وجود أي تطور في المباحاثات، وبشر المصريين من أن مصير أي خلافات مع الجانب البريطاني مصيرها إلى زوال، وأن المشكلة ستنتهي إلى ما يحقق رغبة مصر حكومة وشعبًا، ولكن ليس الآن.. علينا أن ننتظر بعض الوقت .

وفي عام 1951 عادت الحكومة الوفدية إلى طاولة المفاوضات، وبعد مباحثات وشد وجذب توصلوا للاتفاقية الآتية..

يفرج فورًا عن خمسة وعشرين مليون جنية إسترليني تحوّلها بريطانيا إلى دولارات.

استبعاد ثمانين مليونًا للتباحث عنها في المستقبل من جديد.

يفرج كل عام عن عشرة ملايين من الجنيهات.

إجمالي المتفق عليه مائة وخمسة وعشرون مليون نقدًا وآجلًا، واستبعاد ثمانين مليونًا.. يكون الناتج مائتين وخمسة ملايين جنيه إسترليني.. المبلغ لا يصل إلى نصف الدَّين الأصلي، وهنا نجد سؤالًا يطرح نفسه: ماذا حدث في الكواليس فيما يخص باقي أصل الدَّين؟

سبق أن رصد سعد زغلول باشا في مذكراته ثلاثة ونصف مليون جنيه إسترليني دَين على بريطانيا لصالح مصر؛ حيث قال: "لم تكن الحكومة تحارب الأمة في وقت أكثر من محاربتها الآن؛ لأنها سلبت ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف جنيه، وقدَّمتها هدية للحكومة الإنجليزية، وحدَّدت ثمن الأقطان بأبخس الأثمان، وكذلك قيمة المحصولات، أما ما يُرَدّ لمصر من البضائع فتركت الموردين يتحكمون في أثمانها كما شاءوا".

وأخيرًا فاجأتنا جريدة روز اليوسف في عددها 28مايو 2012 بخبر يفيد بنجاح الدكتور أشرف صبري إبراهيم استشاري طب الأعماق في الحصول على وثيقة سند مالي يفيد حصول بريطانيا على ثلاثة ملايين جنيه إسترليني من البنك الأهلي، وقد استعان د. أشرف بخبراء في البنك الدولي لمعرفة كيف يمكن حساب المبلغ بعد إضافة الفوائد المتراكمة، وكان حاصل نتيجة المبلغ بالفوائد مبلغ يتجاوز 8 مليار جنيه إسترليني، وما خفي كان أعظم.

الرقابة وأفلام أثارت ضجة

الرقابة سُلطة بيد الحاكم الفعلي للبلاد يتم استخدامها بما يتناسب مع سياسة السُلطة، وبما يتناسب مع وجودها واستمرارها حتى لا يطولها النقد الذي قد يؤدي إلى تهديد كيانها.. في بداية عصرنا الحديث تبلورت رقابة السُلطة على المصنفات بقانون الرقابة على المطبوعات في نوفمبر 1881 والذي خصَّ الصحف والمؤلفات، ومع ظهور الفرق المسرحية سواء السورية أو المصرية تم تأسيس قسم للآداب في مأمورية البوليس للتعامل مع نصوص الروايات، وأظن أن إنشاء مثل هذا القسم له علاقة بطرد الفرق المسرحية السورية من سوريا، ونقد بعض الصحف المصرية لما تقدمه الفِرَق من مساخر ومبتذلات كما زعمت الصحف.. أما الرقابة على السينما فلها حكاية وكواليس.

بعد إعلان الحرب بين تركيا وروسيا في أول نوفمبر 1914.. استعدت بريطانيا لدخول الحرب، فأعلن الجنرال السير جون مكسويل قائد جيش الاحتلال في مصر، الأحكام العُرفية والحماية على مصر..

«ليكن معلومًا أني أُمرت من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بأن آخذ على مراقبة القُطر المصرى العسكرية لكي يتضمن حماؤه، فبناء على ذلك قد صار القطر المصرى تحت الحكم العسكرى من تاريخه».

وكان ولابد لرجال الجنرال العسكرين أن يسيطروا على الحالة العامة، ويمسكوا بأصابعهم جميع خيوط المرافق، وخاصة التي تخاطب عقول وأذهان الناس، كي لا يتسلل أعداؤهم إلى البلاد بالدعاية لأنفسهم، وهو ما جعلهم ينشئون قسمًا للرقابة يتبع وزارة الداخلية وأختير لرئاسته مسيو بليوتي، وتشعَّب من القسم قسمٌ للرقابة على الأفلام، والرقابة هنا كانت رقابة سياسية وأخلاقية، وأسند رئاسته للأستاذ بهجت الشوربجي، وهو أول مصري رقيب على الأفلام السينمائية.

كانت أول الأفلام التي منعها قلم الرقابة فيلم «الزهور القاتلة» إنتاج

«الشركة السينمائية الإيطالية المصرية» عام 1917 تصوير « كورونل»، وتمثيل محمد كريم، وسبب المنع أن بعض مشاهد الفيلم صوّرت «القرآن» مقلوبًا لعدم دراية الإيطاليين القائمين على الفيلم باللغة العربية، والفيلم الثاني الممنوع من العرض كانت أولى محاولات المصوّر «محمد بيومي» عام 1924 في التصوير السينمائي، وسبب المنع أحد مشاهد الفيلم صوّر أسرة مصرية تأكل "الملوخية" على "طبلية"، وهو ما اعتبره قلم الرقابة يسيء إلى صورة مصر خارجيًا.. في وقت كانت الدعاية المصرية تعتمد على السياحة، وعلى مشاهد من القاهرة الخديوية.

في عام 1928 توحدت الرقابة على الأفلام والروايات المسرحية والأسطوانات الغنائية في إدارة واحدة رَأسَها الدكتور محمد الديب، والذي شكّل لجنة وضعت الممنوعات الخمس..

- منع ارتكاب الجرائم أو بث روح الإجرام.
- منع انتهاك حُرمة الآداب والأخلاق.
- منع انتهاك حرمة الأديان السماوية.
- منع انتشار التعاليم الاجتماعية الضارة.. لا سيما الشيوعية.
- منع ما يؤدي إلى مشاكل سياسية أو دولية.

زادت الممنوعات الخمس ووصلت إلى تسع وعشرين في أحد اجتماعات اللجنة لنفس العام، وزادت دائرة اختصاص اللجنة، ومن أهم الممنوعات:

"منع المواضيع أو المناظر التي من شأنها الإخلال بالنظام الاجتماعي أو الحض على الثورة أو عدم القناعة بالحياة، تحذف مواضيع او حوادث النساء اللاتي يضحين بعفافهن ولو لغرض شريف، تمنع مناظر الرجل والسيدات على فراش واحد أو مناظر الحمامات التي بشكل مغرٍ".

من هنا ارتبط في أذهاننا الرياح تعبث بالشبابيك وقت مشاهدة الاغتصاب أو العلاقة الجنسية في أفلام الأبيض والأسود.

وزارة الداخلية

مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة

قواعد عامة لمراقبة الأفلام بالقطر المصرى

موضوع الفلم

الأمور الدينية

الأمور السياسية

الأمور الاجتماعية

الأمور الجنسية

الجريمة

أزمة فيلم "النبي"..



حصلت شركة "ماركوس للسينما" الألمانية عام 1925 على موافقة مصطفى أتاتورك على دعم الحكومة التركية لفيلم "النبي" عن شخصية النبي محمد، وحصرت معالم بطل الفيلم في أنه يجب أن يكون عربيًا مسلمًا وذا ملامح شرقية.. أرسلت الشركة فنانًا تركيًا يهوديًا اسمه "وداد عرفي" إلى مصر للبحث عن البطل..

في مصر شاهد خمس وسبعين ممثلًا مرشحين للدور.. تابعهم في سرّية تامة دون أن يبوح لأحد بمهمته.. استقر رأيه على الفنان يوسف وهبي، وفاتحه في الأمر.. تحمس يوسف للدور ووافق.. حصل وداد من يوسف على صور له لعدد من أدواره المسرحية، وارسلها إلى مقر الشركة في المانيا مع رسالة فيها تاريخه الفني.. وافقت الشركة على أن يقوم يوسف وهبي بالدور، ووجدته الأنسب بين كل المرشحين.. أرسلت الشركة دكتور كراوس إلى مصر للتعاقد معه.. وقّع يوسف وهبي العقد، وكان مبلغ التعاقد عشرة آلاف جنيه.. نشر يوسف الخبر في الصحف معتقدًا أن ردود الفعل لن تخرج عن إطار التهنئة والدعم المعنوي، ولكن أتت الرياح بما لا يشتهي الفنان.. اهتز الأزهر الشريف، وأعلن شيخ الأزهر أن ظهور شخصية الرسول الكريم على الشاشة لا يجوز ولا يمكن أن يسمح به على أية صورة من الصور، كما صرّح قلم الرقابة ان فكرة الفيلم تعرّضه للمنع لأن فيه انتهاك لحُرمة الأديان السماوية.

كاد الأمر أن يصل إلى فتوى من مفتي الديار المصرية بخروج يوسف وهبي على دين الإسلام وتكفيره، ويصل لتجريده من الجنسية وطرده خارج البلاد.. مئات الرسائل استقبلها يوسف وهبي من جمهوره.. فيها

غضب شديد على فعلته، فآثر السلامة ولغى العقد.. ضغطت الصحف على المسئولين تطالب بطرد الفنان التركي وداد عرفي من مصر، لأنه تجرّأ وطرح مثل هذه الفكرة.. هربَ وداد إلى باريس قبل إصدار قرار ترحيله، وعاد إلى القاهرة بعد عدة شهور نسيت فيها الأزمة، وساهم في عدد من المشروعات الفنية مع فاطمة رشدي وعزيزة أمير وآسيا.. جميعها فاشلة، ولاحقًا منعت له قلم الرقابة عرض فيلم "مأساة الحياة" بطولة راقصة تركية اسمها "افرانز هانم" لأنه يسيء لسمعة مصر.

أزمة فيلم أولاد الذوات..



لم يسلم فيلم أولاد الذوات أول فيلم مصري ناطق 1932 من يد الرقيب بعد الضجة التي أثارها في فرنسا.. الفيلم مقتبس عن احداث حقيقية "شاب مصري ثري تزوج من فرنسية مستهترة.. خانته واستولت على أمواله، ففقد عقله ".. كان مقرر أن تقوم الفنانة "بهيجة حافظ" بدور البطولة النسائية، ولأسباب فنية سُحب منها الدور لصالح الفرنسية "كوليت دارفوي".. أثناء عروضه الأولى في دور السينما هاجمته الصحف الفرنسية، واتهمت صُنّاعه بالتعصب، وكتبت إحدى الصحف: "إذا تركنا جانبًا الوجهة الفنية لفيلم أولاد الذوات، وهي تُعَد عتيقة مضحكة، فنحن نجد أن الفيلم مثال أفلام روسيا الشيوعية التي تترك الفن للفن وتقصد الدعاية، فقد أرادوا به أن يروّجوا الدعوة لدى المصريين لكراهية المراة الأوربيّة وبخاصة الفرنسية، فمثلوها في هذا الفيلم تخرب البيوت وتقود الرجل ضحيتها إلى الدمار وإلى الجريمة فالموت.. ولكي يستكملوا المظاهرة، وضعوا بطريقة كأنها عبث الأطفال جميع الرذائل وضروب الخسة في شخص

تلك المرأة، وعهدوا بهذا الدور للمدموازيل كوليت دارفوي..".

خشي قلم الرقابة أن يتسبب الفيلم في أزمة دبلوماسية مع فرنسا، فمنعوه مستخدمين البند الخامس من الممنوعات الخمس "منع ما يؤدي إلى مشاكل سياسية أو دولية" حتى إشعار آخر..

ردَّ يوسف وهبي على الحملة الصحفية الفرنسية على الفيلم "إنها لو عنيت بتفهم قصة الفيلم ما عنيت بتشويه الحقائق، لأدركت أن جوليا العشيقة الأجنبية في الرواية لم تكن من الأسَر الفرنسية الراقية، بل كانت من نساء صالات الرقص والكباريهات كما جاء على لسان زوجها الدكتور أمين، وكما جاء في سياق القصة من أنها عادت إلى باريس مع عشيقها حمدي بجواز سفر مزوّر، وأنها كانت تدعو حثالة اللاعبين والطامعين لسرقة وابتزاز أموال عشيقها"

وكتب أيضًا: "إن شخصية جوليا التي ظهرت في فيلمي لها شخصيات مماثلة في جميع الأفلام التي تخرجها فرنسا نفسها، فضلًا عن أفلام باقي الدول الأوربّية والأمريكية.. ومع ذلك حول هذه الأفلام أية حملة صحفية لأنها أظهرت امرأة من أية دولة في مظهر ينم عن الاستهتار والتهتك كما قامت بدور جوليا ممثلة فرنسية لها مكانتها.. فلو أنها وجدت في الدور ما يسيء إلى سمعة المرأة الفرنسية لما قبلته".

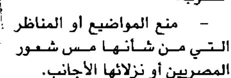
مع مرور الوقت هدأت الحملة الشرسة على أول فيلم مصري ناطق، وعاد لدور العرض في السينما، وكانت الانطلاقة الأولى للسينما الناطقة، وشهادة انتهاء صلاحية الأفلام الصامتة.

أزمة فيلم ليلى بنت الصحراء..



صاحب ظهور فيلم "ليلى بنت الصحراء" للفنانة "بهيجة حافظ" إنتاج 1937، ضجة كبيرة كادت أن تتسبب فى قطع العلاقات المصرية الإيرانية.. تدور أحداث الفيلم حول غراميات ملك الفرس كسرى انوشروان، وعجزه في الوصول إلى قلب فتاة بدوية اسمها ليلى تحدَّته وتحدَّت نفوذه".. بعد عرض الفيلم في دور السينما أبرزت الصحافة

الأجنبية أخبارًا تخص الفيلم، وذكرت أن الفيلم قد يفسد العلاقات المصرية الإيرانية، فبعثت الحكومة الإيرانية إلى وزيرها المفوَّض في مصر تطالبه بمشاهدة الفيلم وتحديد الموقف الرسمي.. شاهده الوزير المفوض، وأبلغ حكومته أن الفيلم يسيء إلى تاريخ الفرس.. أرسلت الحكومة الإيرانية إلى الحكومة المصرية تطالبها بمنع عرض الفيلم، فاضطرت الحكومة المصرية أن تلبي رغبة إيران حرصًا على العلاقات بينهما.. لم تستجب الحكومة المصرية لالتماسات منتجة وبطلة الفيلم بهيجة حافظ، فأسرعت بحذف مشاهد كسرى من الفيلم وأضافت مشاهد أخرى، وعرضته باسم "ليلى البدوية".. مرت ست سنوات حتى أفرجت الحكومة عن فيلم "ليلى بنت الصحراء"، وأصبح لمنتجته فيلمان بنفس الخط الدرامي، وليلى البدوية هي نفسها ليلى بنت الصحراء.



أعادت لجنة الرقابة على الأفلام إعادة صياغة ممنوعاتها تماشيًا مع معاهدة الصداقة المصرية البريطانية 1936، وبما يتناسب مع سياسة التبعية للسياسة البريطانية.. أضافت بنودًا محرَّمة في الأمور السياسية.

- منع المواضيع أو المناظر التي من شأنها تحقير أي شعبٍ من الشعوب.

- منع المواضيع أو المناظر التي من شأنها مس شعور المصريين أو نزلائها الأجانب.

- منع المواضيع أو المناظر ذات الصبغة البلشفية أو ذات الدعاية ضد الملكية أو نظام الحكم القائم.

- منع المواضيع أو المناظر التى من شأنها الإخلال بالنظام الاجتماعي "الثورات والمظاهرات والإضراب.. إلخ".

هنا تصدّى المخرج محمد كريم لقلم الرقابة، وناظر مدير قلم الرقابة على صفحات مجلة الكواكب في عدد نوفمبر 1936.. للرقيب مقال "إنني أدافع" في العدد، وفي الصفحة المقابلة ردٌّ المخرج عليه "إنني أتهم..."، ومما جاء فيهما..



الرقيب: ماذا يريدون من الرقابة السينمائية في مصر إلا أن تطبّق الشروط والقواعد التي وُضِعَت لمراقبة الأفلام المُعَدة للعرض في دور السينما.

المخرج: إن الأفلام السينمائية في جميع أنحاء العالم تقوم على أناس يفهمون السينما حق فهمها ويلمون بجميع دقائقها.. فمَن مِن رجال قلم الرقابة في مصر يتوافر ذلك فيه؟"

الرقيب: بكل أسف أرى أن بعض الشركات السينمائية المصرية

تتجاوز حدود القواعد التي وضعها قلم الرقابة وطبعها في بيان لدى كل شركة نسخة منه.

المخرج: يحدث أن يعترض أحد رجال قلم الرقابة على بعض مناظر شريط، وهنا يعرض على غيره من رجال الرقابة أو عليهم جميعًا ليصدروا رأيهم فيه بدورهم. والذي لاحظته في الغالب أن هؤلاء الآخرين ينضمون إلى رأي زميلهم الأول على سبيل المجاملة.

الرقيب: إننا في الواقع نريد نجاح السينما المصرية وظهورها بمظهر مشرِّف وبالتالي تصوير مصر في صورة لا تسيء إليها، وهذا ما نضعه نصب أعيننا عندما تعرض علينا منتجات الشركات المصرية للتصريح بعرضها.

المخرج: لا يحسب رجال الرقابة أني اتهمهم لأن بيني وبينهم عداء، فإنما هي المصلحة العامة التي تدفعني إلى هذا الاتهام راجيًا أن يكون قلم رقابتنا في مستوى غيره من أقلام الرقابة السينمائية، وعسى أن يتحقق ذلك في وقتٍ قريب.

أزمة فيلم لاشين..



أعلن استديو مصر عن استعداده لإنتاج فيلم "لاشين" الفيلم الأضخم إنتاجًا حتى أواخر الثلاثينيات.. لاشين فيلم ألماني الأصل تم تعريبه بواسطة لجنة فنية تابعة إلى استديو مصر.. بطل العمل حسن عزت، شاب مصري مقيم في هوليوود، وعمل فنيًا في أستديوهاتها حضر إلى مصر خصيصًا للمشاركة في الفيلم، والبطلة نادية ناجي وجه جديد معبِّر والفيلم

سيكون تجربتها الوحيدة.. بالإضافة إلى عشرة آلاف من المجاميع.. زمن الأحداث فترة حُكم المماليك.. الصراع في الفيلم بين الوالي الحاكم والشعب، وفي الخلفية ثورة جياع في مهدها الأول على الحاكم، وجماعة تحاول القفز على ثورة لم تتم وتستغل المساجد لتحقيق أهدافها.. يوسف "الفنان أحمد البيه" صوت الضمير الشعبي الواعي والكاشف لمؤامرة كنغر وأعوانه "مش هتكلم عن نفسي هتكلم دفاعًا عن الوطن".



بعض أعضاء جماعة الثقافة السينمائية بجامعة فؤاد، وقد أخذت لهم هذه الصورة بجانب اعلان شريط «لاشين» في أثناء زيارة استوديو مصر

خشيَ قلم الرقابة التابع لوزارة الداخلية أن يكون الفيلم إسقاطًا على الوضع الحالى – أواخر الثلاثينيات – وأن يكون داعيًا إلى ثورة جياع ضد النظام الحالي، وخاصة أن توقيت الانتهاء من تصوير المشاهد صاحَب استقالة وزارة النحاس باشا بعد صراعه مع الملك فاروق.. فاستند قلم الرقابة إلى ممنوعاتها، وخاصة البند الثامن في البيان والذي ينص على "منع المواضيع أو المناظر التي من شأنها الإخلال بالنظام الاجتماعي.. الثورات والمظاهرات والإضراب إلخ"، وصدر قرار بمنع عرض الفيلم.

حاول الفنان أحمد سالم مدير أستديو مصر إقناع رجال الرقابة بخطأ تقديرهم.. لكنه فشل.. فذهب إلى رئيس الوزراء محمد محمود باشا يشكو له تعنت رجال الرقابة في مشكلة فيلم لاشين.. لم ينشغل

رئيس الوزراء بالمشكلة، وانشغل بدخول أحمد سالم مكتبه بدون طربوش أو جاكت والسيجار في يده وجلسته واضعًا رجل على رجل، فعنفه بشدة واتهمه بالاستهتار والجهل بالطريقة المناسبة لمخاطبة رئيس الوزراء، وطرده من مكتبه.. خرج أحمد سالم غاضبًا، واتصل بصحف المعارضة لسياسة محمد محمود باشا، وأبلغهم أن الحكومة منعت فيلم لاشين.. شنت الصحف المعارضة حملة شديدة ضد الحكومة، ووصفتها بالمرتعشة أمام فيلم سينمائي، ووصفت الفيلم بـ بعبع الحكومة.. التقى طلعت باشا حرب برئيس الديوان الملكي علي باشا ماهر، وعرض عليه الأمر، وصرَّح له أن المنع يعرِّض استديو مصر لخسارة لا تقل عن خمسة وعشرين الف جنيه، وطلبَ منه الوساطة مع الحكومة لحل الأزمة.. استجابت الحكومة وأفرجت عن الفيلم بعد حذف مشاهد المجاميع التي تمثل الثورة، واستقالة أحمد سالم من منصبه في أستديو مصر.

أنا هارب من السينما في مصر.. بهذه العبارة ودَّع الفنان حسن عزت مصر للمرة الثانية، وغادرها بدون رجعة.. كانت مغادرته الأولى عام 1926 بعد تخرجه من المدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية.. هاجر إلى أمريكا، والتحق باستوديوهات هوليوود، وعمل بها فنيًا خلف الكامير.. تزوج امريكية وانجب طفلًا.. عاد إلى مصر عام 1938، ومكثَ بها عام كامل مثل فيه دور البطولة في فيلم لاشين.. ثم غادرها للأبد بعد أن هاجمته الصحف الموالية للحكومة واتهمته بالعمل ضد صالح الوطن.

كتب حسن عزت عن الأزمة "لَكَم قاسيت في هوليوود عند ذهابي إليها، ولكم صادفتني صدمات عديدة كانت كل صدمة منها تحطم

الجبال، ولكنها كلها في مجموعها لم تكن توازي في أثرها صدمتي في منع شريط لاشين".



طلعت باشا حرب وأحمد سالم

وعن تجربته مع فيلم لاشين ودعم زوجته له "عام كامل قضيته في مصر وانا أحاول أن أنسى هوليوود وما فيها، وقد صح مني العزم على ان اكون سينمائيًا امريكيًا، وبالرغم من ان زوجتي كانت ترى في ذلك حرمانًا لها من وطنها واسرتها، إلا انها كانت خير مشجع لي، فما كنت اذكر هوليوود يومًا وأبدي حنينا نحوها حتى تقول لي: وطنك قبل كل شيء، لقد ذهبت إلى أمريكا من أجل السينما، وها قد وجدت السينما في مصر وهي سائرة سيرًا حثيثًا نحو النهوض، فابقَ في مصر وسيكون لك فيها شأنٌ".

"وأكبرت زوجتي هذا الإخلاص الذي شجعني على أن اندمج في عملي اندماجًا تامًا، حتى انتهى تصوير شريط لاشين، ورُحت أنتظر نتيجة عرضه.. ثم كانت الصدمة الأليمة التي أصابتني عندما جاءني خبر منع عرض الشريط.. طار صوابي، وأظلمت الدنيا في عيني".

ومرَّ بصراع نفسي وحالة إحباط، وعادت إليه ذكريات هوليوود.. ذكريات عشر سنوات قضاها في محاولة إثبات الذات.. وتساءل: هل يشد الرحال إلى المدينة التي احتضنته؟ أم عليه أن يتحمل الصدمة

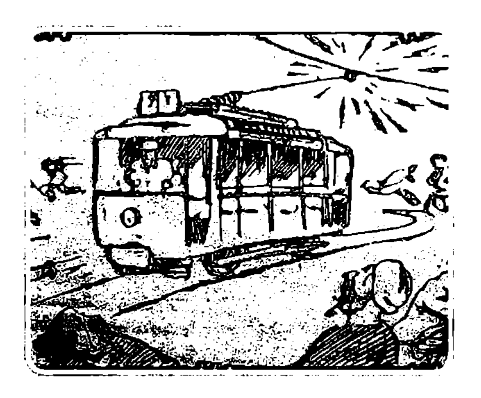
ويبقى في مصر؟؟ «وإذا بقى.. من يدريه؟ لعلّ هذه الصدمة الأولى مقدمة لصدمات غيرها أخطر واشد.. أصبحت أنظر إلى السينما المصرية كأنها شرٌّ مستطير يجب الخلاص منه بسرعة».

"ما كان أحَب إلى نفسي أن اكون سينمائيًا مصريًا، ولكن الظروف ارادت عكس ما اردت.. وانا أحب السينما ويجب أن أعمل فيها باستمرار، ولكن في جوٍّ لا تتبلد فيه السحب، وكان أن قررت أخيرًا أن أهرب من السينما المصرية إلى السينما الأمريكية.. وإن كان يؤسفني شيء؛ فهو مغادرتي وطنًا عزيزًا عليَّ.."

هربَ حسن عزت من السينما المصرية وعاد إلى هوليوود.. انتقل فيها من خلف الكاميرا إلى واجهتها.. ترك الأعمال الفنية وكرَّس حياته للتمثيل.. شارك بالتمثيل مع النجم "جاري كوبر" في فيلم "الحدود الأخيرة" كما شارك "جوان بينيت" و"فردريك مارش" في فيلم "أجنحة التجارة".. ليسجل اسمه في التاريخ الفني كأول فنان مصري احترف التمثيل في هوليوود، وأول الطيور المهاجرة.

نوستالجيا العفريت

الحنين إلى الماضي "النوستالجيا" كان يتم تصنيفها كشكلٍ من أشكال الاكتئاب، وبمرور الوقت والزمن وظهور مدارس أدبيةٍ وعلميةٍ ونفسية حديثة، أعيد تقييم "النوستالجيا" على أنها مرضٌ جميل، وبالرجوع للحياة الاجتماعية للأزمنة التاريخية ومعاصريها نكتشف أن النوستالجيا ليست قاصرة على جيلٍ محدَّد، ولكنها موجودة في كل جيلٍ، وخاصة الأجيال التي تعاني مَرار الفَساد والغلاء والانحطاط الأخلاقيِّ، وتفشي الفساد والجهل؛ فالنوستالجيا حالة تنفيس.



في عدد "24 يونيه 1947" مارست جريدة صوت الأمة المرض الجميل للتنفيس عن قرَّائها، وفتحت لهم مساحة للبوح "المصريون

وخاصة أهل القاهرة والمدن الكبيرة الذين يصرخون من الغلاء المجنون الذي جعل حياتهم سعيرًا وحرمانًا منذ قيام الحرب حتى اليوم.. فقد ارتفعت الأسعار إلى عشرات أمثالها وظل الدخل كما هو"، وللنوستالجيا في نظر الجريدة سلبية "ولسنا ندري أنرفّه عنهم الآن بهذه الأسعار منذ 50 سنة أم نزيد من حسرتهم؟"

كان الشيخ رجب المدرِّس السابق بالمعارف وعلى المعاش، أول المتحدثين من قراء الجريدة، والشيخ رجب عُيِّن سنة 1897 مدرسًا.. بمعنى أدق وبمفهوم هذا العصر: "عريفًا" بمرتب شهري قدره 70 قرشًا، ويضاف إليها نصيبه من مصاريف التلاميذ لا تزيد عن 150 قرشًا، وله دخل آخر من الدروس الخصوصية لأبناء الأثرياء، وكان يتقاضى نصف بنتو على الطالب، والبنتو عملة ذهبية فرنسية كانت متداولة في مصر بسبب قلة المتداوَل من العملات المصرية..

كان يقطع المسافة من محل إقامته "مهمشه" إلى محل عمله "الدرب الأحمر" والعكس، مشيًا على الأقدام لتوفير مصاريف المواصلات، وكانت الحمير هي وسيلة المواصلات الوحيدة، وعلى حدّ قوله كان سعيدًا بحياته، فقد كان يسكن في منزل من طابقين كبيرين بخمسة عشر قرشا في الشهر، ويشتري رطل السمن بقرش ونصف، ورطل اللحم الضأن بأربعة عشر مليمًا، والخمسين بيضة بقرش، والبطيخة بسبعة وثلاثين مليمًا.

أهم ما ذكره الشيخ رجب حكايته مع العفريت، وما ذكرَه يتماس بشكل كبير مع ما وثّقه مؤرخنا الكبير جمال بدوي في كتابه "مصر من نافذة التاريخ" لليوم الأول من أغسطس1896..

قال الشيخ رجب لمحرر صوت الأمة: ومن الذكريات الظريفة يا بني أننا سمعنا يومًا ومنذ خمسين سنة أن شركة إفرنجية ستسير أول خط للترام، فجزعنا وذُعرنا وزاد ذُعْرُنا عندما وجدنا الشركة تحتفل بهذا الخط، وكانت عربة الترام تسير في العتبة خالية وخاوية والناس ينظرون إليها ويفرّون منها؛ لأنهم يرونها تسير من غير حمار أو وقود والذي يتصدرها – يقودها – خواجة مبرنط.. فكنت تسمع الاستعاذة من

الشيطان وطلب الرحمة من الرحمن، وعبثًا حاولت الحكومة، وحاولت الشركة أن تفهم القاهريين أن عربة الترام تسير بالكهرباء، وأنها سريعة ونظيفة وافضل من الحمار.



الطريف أن الشيخ رجب كان يسير مع أصدقائه المشايخ بجوار القضبان الملساء للترام، ويتحدث معهم وهو يلعب بمسبحته، وأثناء اندماجه في الحديث طارت مسبحته واستقرت على شريط الترام.. حاول أحد أصدقائه أن يرفعها، فصرخوا فيه جميعًا محذرين من لمس المسبحة حتى لا يتكهرب.. وقفوا ونظروا للمسبحة المتلألئة في حسرة "يعوّض عليك ربنا يا شيخ رجب".. ازداد عدد المشاهدين للمسبحة من المارة، وشاركوا رجب وأصدقاءه حسرتهم "وبينما نحن كذلك وقد ازداد عددنا وكأننا ننظر إلى حية رقطاء أو قنبلة ذرية شديدة الانفجار والدمار.. إذ بعربة الترام الخالية الخاوية تظهر من بعيد، وإذا بها تقترب ونحن نبتعد، وإذا بالخواجة السائق ينظر إلى المسبحة ويوقف الترام ثم يهبط ويلتقطها بسهولة وهو معجب بها.. وحاول الرجل أن يعطيها لنا، ولكن الجميع حذروني لأنها مكهربة".

وتحدث محمد بك صفوت من كبار موظفي وزارة المالية المحالين إلى المعاش، وعاد بذاكرته إلى الأيام الخوالي مؤكدا أن العالم يسير إلى نهايته 1947 "سرقوا أقواتنا، وقلبوا نظام المعيشة في بلادنا، وأصبحنا كما ترانا اليوم؛ نعيش في مسبغة وجهل وفقر وحياة مجدبة، واختلط الحابل بالنابل، وأصبحنا لا نفرّق بين المرأة والرجل، وأصبحنا نرى النساء يرقصن، ويدخّنّ، والشبان يتركون البيوت، والأزواج يهملن الزوجات.. أليست هذه من علامات الساعة؟" الأستاذ محمد صفوت يكتبنا سنة 1947.

ويضيف محمد بك صفوت قبل أن يحن للماضي "نجد الآن الرجل يعاكس الزوجة مع زوجها، والشقيقة مع شقيقها، ونجد الصديق يخون صديقه والأخت تسرق زوج أختها.. فمَن المسئول عن كل هذا الانحدار في كل شيء؟.. لقد كنا ننظر إلى المرأة من خمسين سنة كما ننظر إلى الشيء المقدّس".

كان يسكن شبرا سنة 1889 عندما كانت أرضًا زراعية على الجانبين بعد كوبري الليمون مباشرة، إلا من بعض البيوت القليلة المتناثرة هنا وهناك وسط النخيل والأشجار والقصب، وكان باشكاتب بوزارة المالية بمرتّب شهري قدره ستة نيتو، ويذهب إلى مقر عمله في ديوان المالية بحماره الخاص، ولديه خدم، وكان "الخير للركب"، وثمن الخروف الكبير لا يزيد عن ثمانين قرشًا، وثمَن كل عشرة أرطال لبن قرشٌ واحدٌ.

وكانت النساء جواهر تعيش في أصدافها على حدِّ تعبيره، ولا ترى الواحدة منهن الطريق إلا كل أعوام، وكن لا يسرن وإنما يركبن الحمير، والرجال لا يعرفون المقاهي بل كانت مجالسهم في بيوتهم ومع أولادهم ونسائهم، والويل لمن يتأخر في الطريق لأنه يكون عُرضة للحيوانات المفترسة وقُطاع الطريق.. هذه هي النوستالجيا.. البحث عن مدينة فاضلة في الخيال وتجاهُل أي شوائب تخصها والهروب من واقع مؤلم.

الفرح ١٩٣٢م

ركبت العروس "زهرة" الجمل بمساعدة الأب وأخواتها، وسط ضجة عالية من نساء القرية، وتهليل الأطفال وموسيقى حسب الله، وفي أثناء ذلك كانت الأم ترش الملح في عيون الحاضرين، وهي تردد: "حصوة في عين اللي ما يصلي على النبي".. رش الملح عادة مصرية قديمة استخدمها المصريون لحماية العروسين من حسد الحاسدين، ولتكون بداية لحياة جديدة خالية من أي نكد أو مشاكل.. أوّل موكب العروس عازفو المزمار والطبل البلدي يتراقصُ حولهم الأطفال فرحًا، ثم هودَج "كوشة" العروس على جَملٍ مكشوف الستار حتى يتاح لنساء القرية تحيةِ العروس في زَفّتها، وعَلَم مُملكة مصر يرفرف خلف الكوشة، ويليه جمل آخر يحمل غازية تضرب على الصاجات، وترقص على أنغام عازفي الطبل والأرغول الجالسين عن يمينها ويسارها، وفي آخر الموكب جمل ثالث يحمل جهاز العروس، والمكوَّن من سرير من النحاس الأصفر، وصندوق خشب بداخله ملابس العروس مطليٌ من الخارج بالألوان الزاهية، ودولاب بمرآة، وطبلية، وحصيرة، والقلل القناوي.. تحرَّك الموكب بترتيبه السابق، وكلما مرَّ في شارع، خرجت نساء الشارع تحيي العروس بالزغاريد والتصفيق ورش الملح والأرز، وشارك أطفالهن بالرقص.

وصل الموكب إلى منزل العريس "محمد"، وكان أمام المنزل قرويان يلعبان لعبة التحطيب وسط دائرة من المتفرجين.. لكل لاعب مشجعين يهتفون باسمه، ويطالبونه بالانتصار على خصمه في جوٍّ يمْلأه المرح والضحك والودّ والقفشات الكوميدية، وداخل منزل الزوجية كان هناك شيخٌ يبارك الحياة الجديدة بترتيله ما تيسَّر من القرآن.. وصل الموكب بعد رحلته من منزل العروس إلى منزلها الجديد، وبَرَك جمل الهودج أمام

ساحة المنزل، وهبطت العروس بمساعدة شقيقاتها وصديقاتها وأقاربها، ودخلت إلى منزل الزوجية تحاوطها الأم والشقيقات، فاستقبلتهن أم العريس وشقيقاته وهي تقول "يا نهار أبيض.. يا نهار ابيض.. يجعل نهارك سلق أبيض يا بنتي".



في هذا الوقت كان العريس وأبوه وأقاربه في مجلس آخر مع والد العروس وأقاربها والمأذون يكتبون عَقد الـزواج.. لما انتهوا منه قام الحاضرون يهنئون العريس وأبا العروس، ووزع عليهم شربات الورد، وصل الخبر إلى مجلس النساء، فانطلقت زغاريدهن، وغنت الغازية "كتبوا كتابك يا نقاوة عيني". وهي أغنية من الفلكلور الشعبي المتوارث من عصر المماليك، وتقال على لسان أم العريس التي اختارت له عروسه.. أقبلت صديقات العروس وقريباتها يقبّلنها مهنئات.. بعضهن غرس دبوسًا في طرحة العروس اعتقادًا أن هذا سيعجّل بظهور ابن الحلال فتى الأحلام، وأن غرس الدبوس في الطرحة نذير شؤم تقف الأم خلف ابنتها وتحميها من غرس الدبابيس في طرحتها، وإحداهن

حصلت على منديل رأس يخص العروسة على أمل الحصول على حظها في الـزواج، والكثيرات منهن قرصن العروس في ركبتها ليلحقن بها كعرائس في جمعتها، وقرص العروس لا يتم إلا بعد النقوط.



ثم مدت طبالي العشاء، فتناول المدعوون ما طهته نساء العائلة "طبيخ وأرز باللبن"، وبعد العشاء جاءت الغازية ترقص وتغني، ثم تكف للحظات لتتلقى النقوط، والطبَّال في أثناء ذلك يقول "شوبش"، والشوبش من الشوباشي، وهي تماثيل فرعونية صغيرة كانت توضع مع الميت لتردد له الدعاء، والمقصود من "شوبش" في الأفراح "ادعوا للعروس".. من عند النساء تأتي أصوات الغناء مختلطة بالتصفيق والزغاريد، وأمام دار العريس انعقد مجلس فرفشة من فريق المدعوين، وقد جلسوا قرفصاء في دائرة تحيط بمسخراتي القرية "المشخصاتي في صورته الأولى"، وهو يضحكهم بنكاته الصارخة، ومنولوجاته اللطيفة حتى ساعة متأخرة من الليل.. عندما انتهوا وقف العريس يتقبل تهانيهم ويودعهم بالتمنيات "عقبال فرحك يا حسنين"، "عقبال فرح أنجالك يا عم سليمان"، "عقبال حجك يا عم الشيخ عبد المقصود".. ثم تركهم، وذهب لعروسته ليبدأ حياة جديدة.

المشخصاتية



عرفت مصر فن التشخيص «التمثيل» مع الحملة الفرنسية، وكان الغرض منه الترفيه عن جنود الحملة.. ذكر د.سيد إسماعيل في كتابه «تاريخ المسرح في مصر» أن أول مسرح أسس في مصر هو «مرسح الجمهورية والفنون» على يد اثنين من رجال البعثة الفرنسية العلمية من كبار الموسيقيين هما: «ريجل وفيلوت»، ومن هنا ظل لفظ «مرسح» هو البديل لسنوات طويلة للفظ «مسرح»، وقدم المسرح أول ما قدم روايات لفولتير وموليير.. أما التشخيص على المستوى الشعبي كتب إدوارد وليم لين في كتابه «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» عام 1833 عن طائفة تسمى «المحبوظون» مهرجون يقدمون مهازل مبتذلة في المناسبات العامة والأفراح والختان في منازل الوجهاء، ويقتصر التمثيل على الرجال، ودور المرأة يقوم به صبي متنكر، ثم يقومون بعرض مسرحيّ لمدة دقائق.. هذه الطائفة مشابهة لطائفة أخرى تحدث عنها علي مبارك في رواية «علم الدين» عام 1882 تسمى «أولاد الرابية»، كانوا يقدمون المحاكيات الساخرة والأكروبات بنفس طريقة وظروف «المحبوظون».. أما الطائفة الأخيرة ذكرها عبد المنعم شميس في كتابه «قهاوي الأدب والفن» تسمى «بتوع رمزه» في ثلاثينيات القرن الماضي، وهم بهلوانات يصبغون وجوههم بالألوان الصارخة.

ويشخصون.. جمهورهم كان رواد المقاهي الشعبية، ورمز في المهنة فيها إسقاط على حالة معينة دون الدخول في تفاصيل أو طرح مباشر يعرّضهم للمسائلة القانونية وبطش ولاة الأمر؛ فإذا أرادوا مثلًا أن يتحدثوا عن غلاء الأسعار ردّدوا «مجنونة يا قوطة»، وإذا أرادوا الإشارة إلى تعنّت الأجانب مع اولاد البلد تبادلوا سيناريو بسيطا، ومكثفًا..





- واحد خواجة سكن في شقة.
- يطلّعوه منها بماشة.
- لا بكماشة.

الاحتمال يظل واردًا في أن الطوائف الثلاثة هي في الأصل طائفة واحدة، واجهتها عوامل التغيير والتطور النسبي.. لكنها لم تواكب النهضة المسرحية التي بدأت في مصر منذ عام 1876.

كانت مهنة التشخيص مهنة وضيعة في نظر المجتمع.. نظرًا لأن العاملين

بها «المشخصاتية» كانوا مهرجين وقرادتية، حتى إن المحاكم الشرعية كانت ترفض شهادتهم في القضايا.. انضم للقرادتية باعة حب العزيز واليانصيب والمثلجات والعاملون في كي الطرابيش، ومن كان لا يمتلك عملًا.. في النهار كل منهم في عمله لو كان لديه عمل، وفي الليل تراهم بأزياء ملوك وأمراء المماليك.. لم يكن منهم من يجيد القراءة والكتابة.. لكنهم كانوا بارعين في الارتجال أمام الجمهور.



شكّل بعضهم فرقًا متجولة تطوف الشوارع والأزقة والقرى والنجوع لعرض فنهم البدائي، وإذا استقروا في مكان طاف أحدهم بزمارته يبشر الأهالي بوصول الفرقة ويدعوهم لمشاهدة العرض.. يجتمع الناس في دائرة، والفرقة في المنتصف ترتجل وتنكّت ويتبادلون الصفعات، والناس تضحك وتطلب المزيد، وقبل نهاية المشاهد التمثيلية يطوف أحدهم على المشاهدين يجمع منهم ما تيسر من ملاليم وأنصاف ملاليم.

أحمد فهيم

بدأت النهضة المسرحية الحقيقية مع وصول فرقة السوري «سليم خليل النقاش» إلى مصر في نهاية نوفمبر 1876، ورغم أنه اتجه للصحافة بعد أشهر قليلة لكن أحد أعضاء فرقته «يوسف الخياط» تولى الفرقة، وأطلق على الفرقة «فريق الروايات العربية»، وعرض في القاهرة والإسكندرية العديد من المسرحيات المترجمة، وحضر الخديوي أحد عروضه.. كان الشيخ سلامة حجازي أحد أفراد فرقته، ولأول مرة في تاريخ المسرح العربي قدم الخياط عنصرًا نسائيًا على المسرح، وهي الممثلة السورية «هيلانة بيطار» في مسرحية «شارلمان» التي عُرضت في 7 فبراير 1885، وقدّم في شهر إبريل من نفس العام السيدة كاتَرين في رواية «الظلوم»، وبعده وفد إلى مصر فرقة سليمان القرداحي، وكان خبيرًا في فن البانتوميم، واستثمر خبرته في هذا الفن وأضفى على رواياته بعض المشاهد المضحكة بالبانتوميم.. بعد وفاة النقاش انضم الشيخ سلامة حجازي لفرقة القرداحي، وزاد القرداحي من

مفاجآته بضم المطربة الأشهر «المظ» لفرقته عام 1889.. توالى وفود الفرق السورية إلى مصر.. أحمد أبو خليل القباني وفد إلى مصر عام 1886 بعد أن تم طرده من سوريا بسبب فتوى تحريم وتجريم فن التشخيص، وهي الفتوى التي أصدرها السلطان العثمانى بعد شكوى النساء من غياب أزواجهن، وفي مصر وبعد عدة عروض هاجمته جريدة الزمان «لقد انبعث ذميم الأخلاق من هذه العصابة التي طوحت بها الرياح الدمشقية نفيا للأقذار».. أشرك القباني العناصر النسائية معه في الروايات مثل المطربة ليلى والشقيقتان مريم وحبيبة سماط، واخر من حضر من السوريين "إسكندر فرح" الذي شارك الشيخ سلامة حجازى في نجاحاته الأولى.

داخل حديقة الإزبكية عرض يعقوب صنوع مسرحياته الهزلية الغنائية، وكانت ليلة افتتاح المسرح ليلة تاريخية حضرها الخديوي إسماعيل وحاشيته، وأكثر من ثلاثة آلاف شخص من الرجال والنساء معظمهم من الأجانب المتمصرين، وعندما رُفِعَت الستار استقبل الجمهور، "يعقوب صنوع" وفرقته بعاصفة من التصفيق مصحوبة بـ"برافو" التي قيلت بلهجات مختلفة، وبعد العرض هنأه الخديوي، وقال له "نحن مدينون لك بإنشاء مسرحنا الوطني.. إن كوميدياتك الغنائية قد أوضحت للشعب ما هو الفن المسرحي، وفي


آسيا وعبد الرحمن شكري

وسعي أن القبك بموليير مصر".

شجع الخديوي إسماعيل الفِرَق المسرحية، وجعل منهم نجوم حفلات زفاف الأسرة الحاكمة، ومَنح القرداحي أرضًا في الإسكندرية لبناء مسرحه، وسمح لهم بالعمل على مسرح الأوبرا على أن تتولى الدار توزيع التذاكر للطبقات الاجتماعية التي ترى أنها مناسبة لدخول الدار.. خشي إسماعيل أن تتحول الأوبرا إلى مزار شعبي يقضي على أمله، وتبتعد القاهرة الخديوية عن النسق الأوربي الذي طالما تمناه.. أما الفِرَق المصرية نقلها المسئولين إلى المسرح الكوميدي، وهو ما أغضبَ يعقوب صنوع أحد أهم رواد المسرح المصري، وكتب يطالب بفتح الأوبرا لجمهور الشعب، ومنح الفرق المصرية الحق في التشخيص على مسرح الأوبر.. صادر إسماعيل مجلة يعقوب صنوع لمخالفته شرط عدم التحدث في البولتيكا "السياسة"، وكان الصراع الشهير بينهما.



في ذلك الوقت ظهرت الفرَق المصرية التي استمدت روح التجديد من السوريين مع الاحتفاظ بروح الفِرَق المسرحية القديمة، فهذا الشيخ أحمد الشامي صاحب أشهر فرقة متجولة، كان من عادته أن يخاطب الجمهور أثناء التمثيل، ويناقشهم في الشئون السياسية والحالة الاقتصادية "الزفت" على حد قوله، ويطلب منهم قراءة الفاتحة على أرواح الأموات، ثم يعود ويستأنف التمثيل، وهذا الفنان أحمد فهيم الفار كان ينتهز فرصة اندماج المتفرجين مع الممثلين..



فرقة الريحاني تشارك في ثورة ١٩١٩

فيصرخ قائلا: آنستونا يا حضرات وشرفتم الجوق.

فيرد المتفرجون: الله يشرف مقدارك يا أستاذ.



كانت أكبر نقلة في فن التمثيل يوم أن خلع عبد الرحمن رشدي روب المحاماة وأنشأ فرقة مسرحية تنافس فرَق السوريين، وقتها كان الحدث حديث الشارع والصحافة.. هاجمته الأقلام على فعلته غير المحسوبة التي تتمثل في امتهان عمل وضيع لا يحترمه المجتمع، ويسيء إلى مهنة العدالة التي اعتزلها، وطالبت إحدى الصحف بمنعه من التشخيص ومحاكمته حتى لا يتبعه المثقفون في فعلته.. أصبح عبد الرحمن رشدي موضعًا للسخرية والتهكم، ومما قيل فيه:



- بعدما اشتغل عبد الرحمن رشدي بالتشخيص أصبح مايعرفش يترافع أمام المحكمة إلا بالصاجات.

- بعدما يترافع أمام المحكمة.. الحاضرون يقولون له: لسه فصل.. لسه فصل.

- شوهد يترافع أمام المحكمة وهو لابس روب بترتر.

- لا يترافع بدون "ملقّن".

- انتهى من مرافعته، وبعدها دار على الحضور "يلم النقطة".



حسين رياض بالبرنيطة

ما حدث مع عبد الرحمن رشدي حدث بشكل رسميّ مع سلامة حجازى.. في عام 1904 انفصل سلامة حجازى عن فرقة إسكندر فرح، وأسس فرقته الخاصة لتمثيل روايات عصرية، وقدَّم للجمهور "ماري صوفان" في عدة مسرحيات تاريخية "ماري تيودور، ملك الحديد، وعبرة الأبكار"... أراد عباس حلمي الثاني التقرب من الشعب بعد توليه خديوية مصر، فأبدى رغبته أن يشاهد تشخيصًا مصريًا، وخص فرقة سلامة حجازي بهذه الرغبة، ولكن رجال السرايا رأوا في هذا العمل نزولاً من

الخديوي عن عظمته بسبب حقارة ووضاعة مهنة المشخصاتية في نظر المصريين، فعدل الخديوي عن رغبته، ولما سأل الشيخ سلامة حجازي عن سبب عدول الخديوي..



قيل لـه: لا يجوز أن يرى جناب الخديوي تمثيل النساء.

ردَّ حجازي: لماذا يباح للخديوي أن يذهب إلى دار الأوبرا لمشاهدة الفِرَق الأجنبية التي تمثل فيها عشرات الحسناوات الجميلات؟!!

ثم عاد سلامة حجازي وطلب أن يعمل مع فرقته في دار الأوبرا، ولكن مدير الأوبرا الإيطالي رفض.. لأن تقاليد الدار تمنع استضافة الفِرَق المصرية، وتحرّم دخول المُعمَّمين إلى الدار. وكان سلامة حجازي حتى ذلك الوقت شيخًا معممًا يرتدي الجبة والقفطان.

وهو ما شجع جورج أبيض الفنان الذي أرسلته الحكومة عام 1901 إلى باريس في بعثة لدراسة فن التمثيل أن يطالب الحكومة باحترام الفِرَق المصرية كما تحترم الفِرَق الأجنبية، وأن تعمل عملًا قوميًا وتخصص مسرح الأوبرا الملكية للفِرَق المصرية، ولما عاد من بعثته اشتغل في الأوبرا بعد أن اشترطوا عليه التشخيص باللغة الفرنسية.. لم يتحمل الوضع كثيرًا، وقدَّم استقالته، وأسس فرقته الخاصة.

لا يمكننا أن نتحدث عن تطوير فن المسرح المصري دون أن نذكر الفنان أمين صدقي.. في عام 1912 وعلى مسرح الشانزليزية كان

"عزيز عيد" يقدِّم روايات "أمين صدقي".. مع فرقته الخاصة على رأسهم "روز اليوسف" "ونجيب الريحاني"، وروايات صدقي كانت من النوع الجريء والمكتوبة باللهجة الشعبية الدارجة وكانت تعتمد على المفاجآت والمصادفات العجيبة والمباغتة والهزلية، وكان الجمهور لا يفيق من كثرة الضحك، وهذا اللون الفني عُرِفَ فيما بعد بـ "الفودفيل".. كان له جمهوره، وكان له نُقَّاده الذين صَنَّفوه وشبَّهوه بالمخدرات والمحظورات، وفي عام 1918 ابتكر مع الريحاني نوعًا جديدًا من العروض أسماه "الفرانكو آراب" وفيه مزج بين العامية المصرية وعدد من اللغات الأخرى، وقيل في هذا اللون ما قيل في "الفودفيل".





وضاعة فن التشخيص في نظر البعض جعلهم متحفزين للمشخصاتية.. يكفي أن نذكر ما حدث مع سلامة حجازي أثناء عرض روايته "هناء المحبين".. حين استعان بخبير فرنسي لإضافة بعض

الأجواء التي تحاكي الطبيعة في العرض مثل المطر والرعد والبرق، وخرجت دعاية المسرحية تبشر بوجود أجواء طبيعية، فتم تكفيره من البعض لأنه حاكى وقلد الخالق في صنيعه.. وعندما عاد حسين رياض عام 1927 من أوربّا أسس لجمعية تنادي بخلع الطربوش ولبس البُرنيطة، وانضم إلى هذه الجمعية عددٌ من الفنانين والأدباء من بينهم توفيق الحكيم، فنادى البعض بتكفيره، ونشر بعض الأزهريين بيانات يصفون فيها أعضاء الجمعية بالمرتدّين.



وهذه الرواية ترجمت الى العربية وقدمتها فرقة رمسيس عندما انضم اليها الاستاذ جورج ابيض ، وهي رواية « بائعة الزهور » ويرى الى اليمين فتوح نشاطي ومحمد ابراهيم ومختار عثمان وامامهم يوسف وهبي ، ثم دولت ابيض وجورج ابيض وادمون تويما



نجيب الريحاني وبديعة مصابني وحسين إبراهيم
في رواية " انا وانت "

افتقدَتْ معظم الفرَق المسرحية العنصر النسائي في عروضها لخصوصية وضع المرأة في المجتمع المصري في ذلك الوقت، والتي كانت تمنع المراة من التشخيص، وكان القائمون على هذه الفرَق يتحايلون على هذه العقبة باختيار الشباب الوسيم، وإسناد أدوار النساء لهم بعد عمل المكياج وتجهيزهم بالملابس النسائية المناسبة، وكان أشهر من قام بدور نسائي قبل ظهور العنصر النسائي على المسرح موسيقار الأجيال "محمد عبد الوهاب"؛ حيث كانت أول أدواره على خشبة المسرح عندما كان طفلاً، دور فتاة عربية في رواية "البدوية" التي مثلتها فرقة عبد الرحمن رشدي على مسرح برنتانيا القديم، ومثل كذلك دور فتاة اسمها "آدا" في رواية "الموت المدني" مع نفس الفرقة.. أما عن أشهر من تخصص في الأدوار النسائية هو الفنان "حسين إبراهيم" العضو في

فرقة الريحاني وصديقه المقرَّب، وكانت دعاية المسرحيات تكتب تحت اسمه "مقلد المرأة المصرية" حيث ظهر في معظم مسرحيات الريحاني بدور امرأة، وكرر التجربة سينمائيًا في أفلام "عريس من إسطنبول" وفيلم "الآنسة ماما" في دوره الأشهر المطربة جمالات كفتة.



فيكتوريا كوهين



بعد ظهور هيلانة بيطار في فرقة الخياط، وظهور ألمظ في فرقة قرداحي، وظهور المطربة ليلى والشقيقتان مريم وحبيبة سماط في فرقة القباني.. أضاف القباني للعناصر النسائية فتاة سورية جميلة اسمها "لبيبة مانيللي"، ولم تكن لبيبة ممثلة بل كانت فتاة جميلة الصوت، فبدأ عملها بالفرقة بإلقاء الأغاني الشامية بين فصول الروايات، ثم تدرجت إلى الإشتراك في التمثيل.. نجاحها شجع القباني على استقدام أخريات من سوريا، وضمهن إلى الفرقة.. في ذلك الوقت

كان من المستحيل أن تحطم التقاليد والأعراف فتاة أو سيدة مصرية بالظهور على المسارح.



صالحة قاصين

ثم ظهرت فتاة سورية أخرى اسمها "مليا ديان".. كانت ديان جميلة ورشيقة ولها صوت جميل، وفي وقت قصير اتقنت اللهجة العامية المصرية، واستطاعت بذلك أن تطغَى على لبيبة وأن تلفت نظر سلامة حجازى إليها فضمها إلى فرقته الخاصة، وبلغت شهرتها أرجاء المحروسة حتى عملت مع نجيب الريحاني في الوقت الذي كان يظهر فيه على المسرح بشخصية كشكش بيه، ومع مضي الأيام، وبعد نجاح تجربتي لبيبة ومليًا اجتاح المسرح سرب من الفتيات السوريات والأرمن

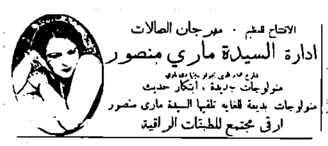
واليهوديات نذكر منهن "ماري صوفان، ونظلة مزراحي، والأُختان ألمظ وإبريز إستاتي، ومريم سماط، وإستر شطاح، وسمر كوهين، والأختان صالحة وجراسيا قاصين، وكاتينا، وسرينا إبراهيم شقيقة نجمة إبراهيم".

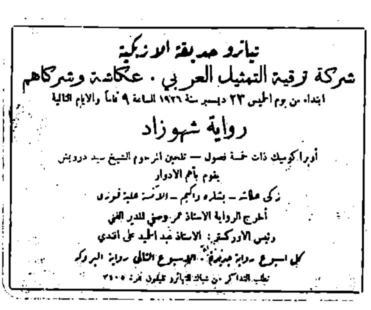


جورج ودولت أبيض

ولصالحة قاصين مكانة خاصة حيث شاهدناها صوتًا وصورة كومبارس بعدما جار عليها الزمان في فيلم "حلال عليك" ، وفيلم "

إسماعيل يس في مستشفى المجانين " .. في أيام تألقها كانت صالحة قاصين نجمة فرقة إسكندر فرح، والروايات تكتب لها خصيصًا، والجمهور يزور المسرح شوقًا لرؤيتها، وراتبها الشهري يتجاوز 8 جنيهات ذهبية.. احبَّها نجيب الريحاني — الكومبارس في الفرقة — واحبَّته بعد أن تجرا وارسل لها "هل تشعرين بما أشعر به".. ثم انقلبت عليه بعد أن ذاع سرهما، وعندما تورط هو وعزيز عيد في غرزة.. استخدمت سُلطاتها ومعارفها للإفراج عنهما من يد البوليس، وعادت قصتهما من جديد، وفي عام 1908 اكتشفت علاقته بالفرنسية لوسي دي فرناي، وامرت بطرده من الفرقة، وانتهت قصتهما.. لكنها ظلت رائدة في فن المسرح، والعشق الأول للريحاني.







الريحاني ومليا ديان

في ذلك الوقت كان في حارة النصارى مسرحٌ للتمثيل الفكاهي اسمه "مسرح الابتهاج" وكان يعمل فيه "كامل الأصلي"، وهو شاب لبناني يجيد الفرنسية، وكان يمصر الأعمال الفرنسية الكوميدية، ويمثلها إما على مسرح الابتهاج أو في الموالد، واسمه الحقيقي "جورج راضون"، وفي هذه الفترة جاءت من سوريا مطربة عرفها المصريين باسم "الست توحيدة"، ولجأت إلى كامل الأصلي، فألحقها بفرقته، وبدأت عملها بإلقاء بعض المقطوعات الغنائية بين الفصول الفكاهية ثم اشتركت في التمثيل، ولما اشتهرت هجرت المسرح، وأنشأت " كازينو توحيدة"،

وبذلك تكون الست توحيدة أول ممثلة كوميدية في مصر.

امين صدقي

في عام 1915 ملأت شوارع القاهرة إعلانات ضخمة تبشر بظهور أول ممثلة مصرية بفرقة عزيز عيد على مسرح الشانزليزية بالفجالة، وتدفقت الجماهير على المسرح لتشهد هذا الحدث الجديد، ولم تكن هذه الممثلة الرائدة سوى المطربة الشهيرة "منيرة المهدية".. بعد أن درَّبها عزيز عيد على فني: الإلقاء والتمثيل.

وكالعادة.. بعد شهور تركت منيرة مسرح عيد وكوَّنت فرقتها الخاصة، وقدمت أشهر روايات سلامة حجازي، وكانت منيرة المهدية تقوم في هذه الروايات بالأداوار التي أداها سلامة حجازي شخصيًا، فانقلبت الآية.. بعد ان كان الرجال يقومون بالأدوار النسائية.. قامت منيرة بأدوار الرجال، وفعلت فاطمة رشدي نفس الأمر فيما بعد.. نجحت منيرة، وشجعها النجاح على أن تكلف بعض المؤلفين بوضع روايات خاصة بها، وترجم آخرون عدة روايات أشهرها كارمن التي قدمتها في مارس 1917 ، وكان نجاحها عظيمًا.


مريم سماط

حاولت منيرة أن تنقل نجاحها إلى الأوبرا ، وكانت تحلم بالوقوف على خشبة مسرحه، وتمثل رواية غنائية، ولكن نفس التقاليد التي عانى منها الشيخ سلامة حجازى كانت حائلًا بينها وبين حلمها.. لم تيأس وحاولت محاولات عديدة مع المسئولين حتى سمحوا لها بالوقوف لليلة واحدة ذهب إيرادها لفقراء مسجد السيدة زينب، وحاول نجيب الريحاني أن يمثل هو الآخر

على مسرح الأوبرا إحدى رواياته الهزلية، واعتبر طلبه في نظر المدير الإيطالي للأوبرا إهانة بالغة.



بعد نجاح منيرة المهدية في التشخيص شجَّع عزيز عيد المشتغلات في الرقص وإلقاء المنولوجات بممارسة فن التمثيل لإثراء حركة المسرح بالعناصر النسائية المصرية، وكان يعطي لهن دروسًا في التمثيل والإلقاء والحركة على "قهوة الفن"، وفي هذه القهوة وُلِدَت فكرة اتحاد الممثلين، وتم تنفيذها فيه، وكانت النواة الأولى في تكوين الفرقة القومية والتي عُرِفَت فيما بعد باسم الفرقة المصرية.. على هذه القهوة تلقت فنانات دروسهن الأولى في فن التمثيل ومنهن: "رتيبة وإنصاف رشدي وشقيقتهما الصغرى فاطمة رشدي، وزينب صدقي، وعلوية جميل، وفردوس حسن، وماري منصور وعزيزة أمير وأمينة رزق".



كليوباترا (منيرة المهدية)
مارك أنطونيو (محمد عبدالوهاب)
١٩٢٧م

ترقيم المنازل

لك أن تتخيل معي المشهد الآتي..

الزمان: قبل عام 1847

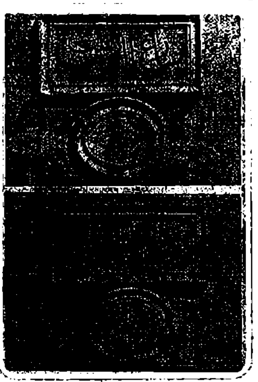
المكان: شوارع المحروسة

الحدث: أسرة قادمة من الريف تبحث عن منزل أحد معارفها.. كل المعلومات التي تملكها عن هذا الشخص اسمه؛ بحُكم انه من الأقارب، ومكان سكنه بولاق.. وبولاق جغرافيًا امتداد واسع مكون من مئات الشوارع وعدة ألوف من المنازل.. تنتقل الأسرة من شارع إلى آخر تسأل عنه، وتصفه لسكان الشارع.. ربما يصادف أن يعرفه أحدُهما، وأن يكون الشخص هو المقصود وليس هناك تشابه في الأسماء، فـ «محمد الجرجاوي» - مثلا - في بولاق ليس واحدًا.. الجرجاوي نسبة إلى بلدة جرجا، وكان دارجًا أن ينسب الشخص إلى بلدته، ومحمد من الأسماء الشائعة، وكم من جرجاوي يسكن بولاق واسمه محمد!!.. تبدأ رحلة البحث من النهار وتمتد لساعات طويلة، والليل على وشك أن يخيم على المدينة، والصبر في رحلة نفاده.. يتبرع بعض أهل المروءة بالبحث مع الأسرة.. كلما زاد الباحثون زادت فرصة الوصول.. الوقت يمر، والأقدام هلكت من التنقل.. الوصول واللاوصول.. الفرص بدأت متساوية، ومع مرور الوقت نسبة اللاوصول في زيادة.

في عام 1847أحس مجلس منظمة المحروسة بهذه الإشكالية.. بعد أن زادت معاناة الأهالي، وكثرت الشكاوى، ونادى البعض بضرورة إيجاد حل، فرفعوا الأمر إلى والي مصر محمد علي باشا للبَتّ فيه، مع توصية من مجلس منظمة المحروسة بضرورة كتابة أسماء للشوارع وترقيم للمنازل.. أصدر محمد علي باشا مرسومًا نُشرَ في العدد 83 بمجلة الوقائع الرسمية بكتابة أسماء الشوارع وترقيم المنازل، وجاء فيه «مما يستوجب المنافع العظيمة، ويورث السهولة لمن يقصد شارعًا، أو بيتًا،

سواء من الأهالي أم من الأجانب».

أسرع رجال مجلس منظمة المحروسة بتنفيذ المرسوم، واتخذوا ميدان باب الخلق مركزًا للمحروسة، ووضعوا لافتات بأسماء الشوارع في مداخلها، وراعوا أن نسبة الأمية عالية بين الأهالي، فميزوا لوحات الشوارع بالألوان.. هذا الشارع لوحته سوداء، وذلك لوحته بيضاء.. أما المنازل الموجودة يمين الشارع أرقامها فردية، والمنازل الموجودة يسار الشارع زوجية، وهذا الترتيب ما زال مستخدمًا حتى الآن، وكانت الأرقام تُكتب على الأبواب.



كانت الشوارع تسمى بالأسماء العالقة في ذهن الأهالي.. مثلًا هنا كان يسكن « كفراللي» أحد قادة الحملة الفرنسية، وكان يمزح مع جيرانه، وكانوا يمزحون معه، ومن نوادرهم معه أن شطروا اسمه إلى نصفين «كفر/اللي» ثم استبدلوا الشطرين «اللي كفر»، وأصبح مكان سكنه في

ذهن الأهالى شارع اللي كفر أو الذي كفرَ وفيها «قنطرة» كوبري خشبي قصير ينقل بين ضفتين، وهي قنطرة الذي كفر.



ومن الأسماء المتداولة شارع السبع والضبع، والرواية أو الأسطورة التي كانت دارجة على لسان أهل الشارع أن صاحب الكرامات «البيومي» كان له صديق من «أهل الخطوة» اسمه الشيخ «البنهاوي».. دبَّ بينهما خلاف، واستمر لفترة طويلة.. وامتلأ قلب البنهاوي بالغضب على صديقه القديم البيومي، وظل يراقبه على أمل انتهاز فرصة للانتقام، وبالفعل انتهز البنهاوي فرصة نوم البيومي في بستان مكشوف، فتشكل البنهاوي في هيئة ضبع،

وهجم على البيومي الذي استيقظ فجأة، وتشكل هو الآخر على هيئة سبع، وحدث بينهما صراعٌ وكرٌّ وفرٌّ لساعات طويلة، فلم يجد القطبان مفرًا من التصافي والصلح، وأطلق الأهالي على الشارع الذي شهد المواجهة بينهما شارع السبع والضبع.

ومن الحكايات المنسية لأسماء الأحياء والشوارع.. اسم حي "الزمالك".. كانت منطقة الزمالك تسمى "العشش"، وكانت مأوى للثعالب والذئاب والثعابين والعقارب، ولم يجرؤ أحد على السكن فيها بأي حال من الأحوال، أطلق الأتراك على المنطقة اسم الزمالك، وهي كلمة تركية تعني العشش أي أنها ترجمة للاسم العربي للمنطقة، ومع الأيام استخدم المصريون الترجمة وتجاهلوا الأصل.

عبدالنعيم محمدين

جاء عبد النعيم محمدين من بلدته قنا عام 1897، وكان معه بعض المال، اشترى به قطعة أرض من تلك المنطقة بسعر لم يزد عن قرشين ونصف للمتر.. ثم أخذ يستصلح الأرض حتى جعلها صالحة للزراعة وطهّرها من الحيوانات المفترسة، ونجحت الزراعة وانبتت الأرض ثمارًا؛ فأرسل عبد النعيم يستقدم فلاحين من قنا ليستعين بهم في مشروعه الناجح حتى أصبح عدد أقاربه وبلدياته في منطقة العشش أكثر من الف وخمسمائة، واشترى باقي مساحة المنطقة ليطهرها ويستثمرها، وأختير عمدة على فلاحينه وأقاربه.

تراجع عدد الحيوانات المفترسة أمام تقدُّم المساحة المزروعة،

وتقدمت الزمالك التي أصبحت جنة خضراء، وأخذت المنشآت تنتشر في ربوعها، وأصبحت مقامًا للأثرياء الهاربين من ضوضاء المدينة.. كبر عبد النعيم في المكانة وفي السن فتنازل عن مملكته لابنه عسران، والذي مع الوقت ترك العمودية لابنيه فهمي وحسني اللذين قسَّما المنطقة إلى قسمين، واختار كل واحد منهما قسمًا يشرف عليه ويفتشه يوميًا بنفسه، فيطوف به داخل سيارته الفخمة.

وبمرور الزمن تناسى الناس فضل الصعايدة في تعمير الزمالك، وأصبحت سكنى للأمراء والأعيان والفنانين، ومنهم الأميرة فايزة والأمير طوسون إبراهيم والأمير سعيد طوسون وأغنى أغنياء مصر في ذلك الوقت أحمد عبود باشا وعميد الأدب العربي طه حسين وسفارات لعدد من الدول، وكانت أول فنانة سكنت حي الزمالك هي الفنانة زينب صدقي – من رائدات فن التمثيل – وأطلقوا عليها اسم "قمر الزمالك".

اعتمد رجال مجلس التنظيم في تسمية الشوارع على حكايات الأهالي وأسماء مؤسسي الأحياء أو أشهر علاماتها مثل: مسجد سيدي الإمبابي، ولهذا ظهرت أسماء في القاهرة والإسكندرية من عينة: الزير المعلق، وبين النهدين، وبين الصورين، وزيزينيا، والأزاريطة، وكتشنر، والسد البرَّاني، والسد الجوَّاني.. وغيرها.

ومن الحارات: حارة شق التعبان، وبير المش، والحارة الوسخة، ودرب بهلول، وزقاق طرطور، وحارة أبو طبق، وحارة السكر والليمون، ودرب السقايين، ودرب القُرَداتي، ودرب المهابيل، ودرب الزرايب،

ودرب المجانين وسويقة السباعين.

مع الوقت بهتت ألوان أرقام المنازل المكتوبة على الأبواب، واختفت بفعل عوامل الجو، وعادت المشكلة من جديد، فأصدر الخديوى عباس حلمي الثاني مرسومًا في 27 مارس 1897 بترقيم المنازل على لوحات يتم تثبيتها يمين على منزل، ولما انتهى مجلس المحروسة من تنفيذ الأمر في القاهرة.. صدر قرارٌ بترقيم مساكن باقي مدن مصر، وتم التنفيذ في الإسكندرية ودمياط ورشيد والمنصورة.. ثم باقي المدن.. لتستقبل مصر أول أيام عام 1900 بمنازل لها أرقام وشوارع لها أسماء.

تعاطفك لوحده مش كفاية

مبرة محمد على ومستشفى الدمرداش حلقتان في مسلسل طويل اسمه "التبرعات".. مسلسل أعيد بثه كاملا في كل مراحل تاريخ مصر الحديث حرفا ونصا سواء الخديوية أو الملكية أو الجمهورية، وكان ومازال الحل الأول والأخير في الخدمات التي تستهدف الفقراء مثل الصحة، وكفالة اليتيم، ومحو الأمية، واضيف أخيرا دعم الاقتصاد حتى إنك لن تجد شعبا تاريخه ينافس تاريخ الشعب المصري في "تعاطفك لوحده مش كفاية".





عندما نتكلم عن التبرعات يتبادر سريعًا إلى الذهن الخدمات الإنسانية التي تبناها عبد الله النديم عام 1881من محو أمية ومعالجة الفقراء وكفالة اليتيم، وتبرع الموسورين من أبناء المحروسة عام 1902 لإنشاء الإسعاف المصري لمواجهة هجوم الكوليرا، وحملة التبرعات عام 1908 لإنشاء الجامعة الأهلية، وحملة الزعيم محمد فريد عام 1909 لمحو الأمية في القرى والنجوع، ومشروع القرش عام 1931، وعشرات المشروعات الخدمية التي تصل بك إلى زمن قراءتك لهذا الكتاب.. مبرة محمد علي ومستشفى الدمرداش حلقتان نختزل بهما الحياة الصحية والاجتماعية في الثلاثين سنة الأولى من القرن الماضي.

"مبرة محمد علي.."

انتشر مرض الرمد بين الأطفال عام 1909، وكان الفقراء لا يملكون ما يحمي أطفالهم من هذا المرض.. شاهدوا أطفالهم يتألمون، واكتفوا بالمتاح.. الدجل والوصفات الشعبية والدعاء.. شاهدت الأميرة "عين الحياة أحمد" الأمر لقربها من الفقراء، وتحدثت إلى زوجين شابين من الأثرياء ومحبين لفعل الخير، وهما: عمر سلطان باشا وزوجته عنايات هانم عن واجب الأغنياء تجاه الفقراء، وعن الإنسانية وحتميتها في هذا الظرف، وعن الآلم الذي يعانيه هؤلاء، وعن الضمير وراحة البال، وكان رد عمر سلطان باشا: أنا وزوجتي تحت تصرُّف سموّك، ولن ندخر جهدًا في سبيل تأدية هذه الرسالة.



لم يكن الطريق في بدايته ورديًا، واجهوا نقد الناقدين من الأثرياء، وجهل الأهالي وعدم قناعتهم بفائدة العلاج الطبي.. الجهل كان السمة العامة لهذه الفترة، وكان الأهالي يطلقون على رجال الإسعاف "بتوع الشوطة"، والشوطة هي مرض الكوليرا، وإذا مرَّ أحدهم في الجوار "هرشوا" رؤوسهم إيمانًا منهم أن هذا الفعل يمنع شر الكوليرا، وكثيرًا ما تعرُّض المسعفون للضرب بالأحذية والحجارة أثناء تأدية عملهم.. أمام هذه الخلفية الاجتماعية سعت الأميرة عين الحياة أحمد في تأسيس مشروعها الخدمي.

عقدت الأميرة اجتماعات متعددة في قصرها، وفي قصر إجلالُ هانم زوجة رئيس الوزراء الأسبق حسين رشدي باشا، وضم الاجتماعات كثيرات من الأميرات وسيدات الأسَر الكبيرة، وأسفرت عن تشكيل أول لجنة للمبرة برئاسة الأميرة عين الحياة وعضوية كل من الأميرة نازلي حليم والأميرة شيوه كار والأميرة نعمت مختار والأميرة خديجة حليم وقرينات الأمراء سعيد حليم وعمر طوسون وإبراهيم فاضل، وقرينات محمد سعيد باشا، وحسين رشدي باشا، وأحمد مدحت يكن باشا، وإبراهيم فؤاد باشا، وبشارة تقلا باشا، وعمر سلطان باشا، والسيدات هدى شعراوي، وشريفة رياض، ومدام كارتون ديفيار.



الأميرة عزيزة حسن

أقبل الأثرياء والأمراء على التبرع للمشروع بمبالغ مختلفة ومتباينة، وأقام عمر سلطان باشا على نفقته الخاصة ثلاث حفلات كبيرة.. واحدة في قصر الزعفران وأخرى في قصر طوسون باشا والأخيرة في قصر علي باشا رضا.. كانت الحفلات قاصرة على السيدات فقط.. فيها الموسيقى والرقص الشرقي والغناء والتنكر في ملابس عصر محمد علي باشا، ورغم عدم وجود الرجال في الحفل.. كانت القائمات على الحفل يتلقين تبرعات ضخمة من الأعيان.

النشاط الأول لعضوات المبرة كان تجهيز قوافل طبية وغذائية تطوف شوارع وحواري القرى.. تقدم خدماتها للمحتاجين، وتساعدهم على تحمل صعاب الفقر والحاجة، وانشأن أول مستوصف طبي إنساني في شبرا.. أثناء ثورة 19 تعرضت المبرة إلى حالة ركود.. سرعان ما انتهى بانتهاء الثورة، وعاد النشاط بعد الركود، واستمرت المبرة في نشاطها الاجتماعي والصحي، وأصبح لها فروع ومستوصفات ووحدات علاجية متنقلة ومراكز إغاثة في جميع أنحاء القطر المصري، وانتقل المركز الرئيسي من شبرا إلى عابدين لخدمة أهالي عابدين والدرب الأحمر والسيدة زينب، ويضاف لخدمات المبرة إنشاء صيدلية توزع الدواء مجانًا وأجهزة كاملة للعلاج الكهربائي، وإنشاء قسم لتخريج ممرضات، وتدريب الفتيات على الإسعافات الأولية وإسعافُ الجرحى في السلم والحرب، وهو ما ساعد المتطوعات على مكافحة الملاريا في قنا وأسوان.

رئيسات مبرة محمد علي..

الأميرة عين الحياة أول رئيسة للمبرة من 1909: 1920

الأميرة عزيزة حسن من 1920 : 1937

الأميرة عفت حسن من 1937 : 1940

الأميرة شويكار من 1940: 1947

الأميرة فوزية من -1947 حتى قيام ثورة يوليو 1952.



الأميرة عين الحياة

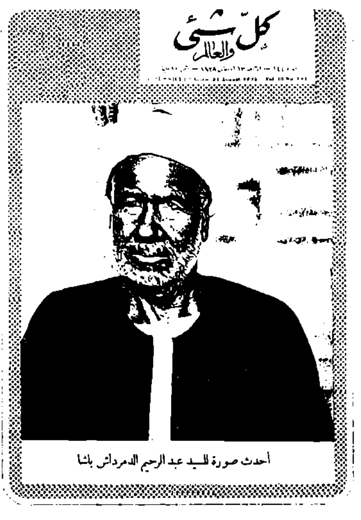
مستشفى الدمرداش..



"إني لم أشعر قط بمثل السرور الذي أشعر به الآن، وقد بلغ من شدة فرحي انني لا أستطيع النوم طويلًا في هذه الليالي، فإني وقعت في حياتي على شيكات كثيرة، ومضيت على وصولات عدة، ولكنني ما احسست يومًا بمثل الغبطة التي خالجت فؤادي وأنا أوقع كتاب هبتي، ومما لا ريب أن هذه إرادة من عند الله.. ده انا نفسي مش قادر اتصور اللي عملته".. بهذه الجملة البليغة بدأ ابن محطة الرمل وشيخ أحد الطرق الصوفية عبد الرحيم الدمرداش باشا يسرد لمحرر مجلة "كل شيء والعالم" في 13 اغسطس 1928 إحساسه بعد توقيع شيكات بمائة الف جنيه لتشييد مستشفى للفقراء والإنفاق على مصاريفها من ريع المبلغ شريطة علاج المرضى دون النظر إلى جنسياتهم وعقائدهم.

وكان للسيدة زوجته موقفٌ إن دلّ فيدل على أن الرحمة والإحساس بالفقراء سمة في الأسرة.. قال الدمرداش للمحرر: "ويظهر إن الست شعرت من جهتها بمبلغ الحبور الذي يملأ قلبي، ولاحظت على زيادة اكلي، فجاءتني أمس تقول لي: لقد سمعتك تتحدث عن معهد تريد تاسيسه للمباحث الطبية العلمية، فاردت أن أخبرك أن جواهري تقدر بخمسة عشر الف جنيه او بستة عشر الفًا، فخذها وبعها وتبرَّع بثمنها لتشييد ذلك المعهد كي يديم لنا الله سعادتنا وهناءنا".. أكثر ما كان يقلق الباشا أن توافيه المنية قبل افتتاح المستشفى، فارسل لرئيس الوزراء "إن سروري عظيم يا باشا.. لكني خائف أن تدركني المنية قبل

أن أرى المستشفى قائمًا، فأرجوك أن تستعجلوا في عمل المناقصة، ولو أدّى الأمر إلى تبرُّعي بخمسة آلاف أخرى".



أحدث صورة للسيد عبد الرحيم الدمرداش باشا

لم يكن للدمرداش قبل بيع أراضي الدائرة السنية ثروة تُذكَر، وكان دخل والده لا يتجاوز ألفي جنيه في السنة، فلما بيعت الأراضي اشترى منها مساحة كبيرة بالتقسيط، ولم يمض عليه وقتٌ طويل حتى تمكن من تسديد ثمنها كلها، واحتفظ لنفسه ولزوجته بريعها، وبعد سنوات

طويلة من الاجتهاد جمع ما لا يقل عن نصف مليون جنيه.. بقيمة أيامنا هذه يعادل المبلغ مليار جنيه، ولما سألوه عن نصيحته للشباب قال: "نصيحتي للشبان الذين يريدون اقتفاء أثري هي أن يثابروا على العمل؛ فالمثابرة على العمل أساس النجاح في نظري ثم ليتعلموا ألا ينفقوا القرش إلا في محله".

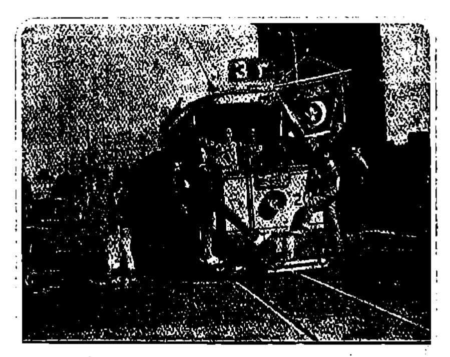
كان الدمرداش رحمه الله من العصاميين الذين يسهرون على مصالحهم بأنفسهم ولا يتكلون على غيرهم في الإشراف على شؤونهم، ومن المتعارف عليه أنه كان صارمًا مع موظفيه في الدائرة، ويتمتع بذاكرة قوية ملمًّا بكل كبيرة وصغيرة في أمور ممتلكاته.. يروى عنه أنه دخل يومًا أحد مكاتب موظفيه، فوجد الوكيل يتصفح الجرائد، والسكرتير ينش الذباب، فقال: "إن حضرة الوكيل يتكل على معاشه من الحكومة.. أما أنت يا حضرة السكرتير فعلى ماذا تتكل؟".. ثم غادر المكان.. بعدها تقدم الوكيل باستقالته بعد أن فهم المغزى من كلام الباشا، وبعد يومين مرَّ الباشا أمام منزل الوكيل فرآه جالسًا أمام بابه فقال له: "يعني الدايرة مش كانت أحسن لك".

حرامي الحلة

اندلعت ثورة 19.. في الكواليس حراك سياسي، وفي الشارع حراك شعبي، وفي الصحافة انقسام بين مؤيد ومعارض، فتشكلت الكتل منهم.. أمراء أسرة محمد علي أمثال عمر طوسون ومحمد سعيد قادوا التكتل المعارض من جرائد الأهالي والوطن والمنبر والكشكول، وللمحتل الإنجليزي منبره الخاص جريدة المقطم، ولا عجب أن يكون المؤيد للثورة جريدة تحمل اسم مصر.



جريدة الكشكول من أكثر الجرائد المعارضة للوفد ولسعد شخصيًا، وصاحبها سليمان فوزي كان مقرّبًا للسرايا، ودوره في الحياة السياسية لا يختلف كثيرًا عن دور «الشيخ علي يوسف» وجريدته «المؤيد» وسياسته ضد الزعيم مصطفى كامل في زمن الخديوي عباس حلمي الثاني.. سياسة الكشكول جعلتها عُرضة لغضب الثوار فترة 1919: 1924.. نشرت مجلة اللطائف المصوَّرة في عددها 24 نوفمبر 1924 عدة صور في الصفحة الأخيرة لثورة جديدة اندلعت عقب استقالة سعد باشا على أثر حادث اغتيال سردار الجيش وحاكم السودان العام السير لي ستاك باشا، وتحت إحدى الصور علقت المجلة بجملة «وهذه صورة أخرى للمظاهرات السلمية، وكانت خاتمة المظاهرات تدمير الكشكول وإهانة صاحبه»، وداخل العدد تحقيقٌ كاملٌ عن حالة الغضب ضد الكشكول تحت عنوان» انتقام الطلبة من الكشكول – إهانة صاحبه وحرق محله».



وتقاطر الطلبة بواسطة الترمواي على بيت الامة والحي المجاور هاتفين بالثقة طالبين بوزارة سعد ابو الثورة



الهلباوي باشا

كتبت اللطائف في التحقيق المصوَّر موضّحة سبب الغضب «دارت الأزمة الوزارية الأخيرة على رأس صاحب الكشكول فقد هجم على محله – ولا نقول إدارته – جمهور من الطلبة المتظاهرين ودمروه، وضربوا صاحبه ضربًا مبرحًا»، وأضافت اللطائف «لولا مقشات الكناسين لانتشرت هذه الأوراق على طول شوارع باب اللوق لأن المحل كان مكدسًا بالأعداد المرتجعة من الباعة لعدم إقبال الناس عليها، وسليمان أفندي فوزي صاحب

الكشكول، هو ذو ماض معروف.. استعان أعداء سعد باشا بجريدته لأنها سهلة الاجتذاب» وعن أسباب الغضب ذكرت المجلة أن صاحب الكشكول وأعداء سعد استعانوا بالمسيو سنتيس الأسباني أستاذ الرسم في مدرسة الفنون الجميلة واستأجروا بعض المحررين والكُتّاب والشعراء للتحقير وإهانة سعد زغلول بالكاريكاتير والمقالات مستندين إلى حرية الصحافة وحرية إبداء الرأي.

مجلة الإثنين والدنيا في عدد 8 أغسطس 1955، نشرت تحقيقًا بعنوان «سعد باشا متهم بسرقة حلة» لوزير المعارف الأسبق علي أيوب، وفيه سرد ذكرياته مع نقيب المحامين الأشهر إبراهيم الهلباوي – جلاد دنشواي – وعدد من الحكايات المؤثرة التي عاشها الهلباوي في بداية حياته، ورواها للوزير الأسبق عام 1930، ولم يروها في مذكراته، ومن التحقيق ينكشف غموض غضب الطلبة من الكشكول وإحراق المقر وإهانة صاحبه في نوفمبر 1924.





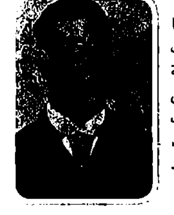
واشتركت البنات مع الطلبة فخرجن متظاهرات صائحات
مناديات «يحيا سعد يحيا سعد»

من ذكريات الهلباوي باشا نعرف أنه سكن مع سعد في غرفة واحدة أثناء طلب العلم من الأزهر، وكان معهما في الغرفة شخص ثالث يسمى الشيخ حسين، والثلاثة من قرى متجاورة بالريف، ولأن الشيخ حسين كان الأكبر في السن والأقدم في الأزهر الشريف تولى رئاسة شئون الغرفة.. كان أهالي الطلبة يرسلون إليهم ما يحتاجون إليه من جبن وبصل وفطير وأرز وخضراوات وفاكهة، وحدث أن لاحظ سعد والهلباوي نقصًا في السلع التموينية لا يتناسب مع استهلاكهم لها، ومع الوقت اكتشفوا أن الشيخ حسين وقع في غرام بائعة فجل، وكان يهديها من مخزون الغرفة، فكانت القطيعة بعد المواجهة بين الزملاء الثلاثة ..



اضرب جميع تلامذة المدارس في البلاد يوم ان رفع دولة الزعيم الجليل استقالته وساروا متظاهرين هاتفين

انتقل الهلباوي وسعد إلى غرفة أخرى في مكان آخر، وبعد فترة وجَّه الشيخ حسين تهمة سرقة حلة نحاسية إلى الهلباوي، ورفع شكوى إلى إدارة الأزهر التي حولت الهلباوي إلى التحقيق، وحقق المشد «ضابط بالأزهر» مع الهلباوي، وبعد التحقيق ثبت براءة الهلباوي من التهمة، وانتهى الأمر.

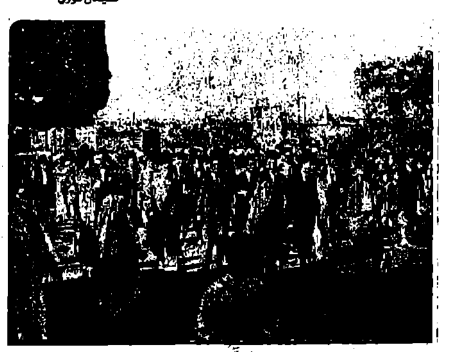


أثناء حملة الكشكول على سعد باشا زغلول، استعانت بالشيخ حسين، وحرَّفت الحكاية، وجعلت من الزعيم متهمًا بسرقة حلة نحاسية، كعادتنا في تشوية كل إيجابي في حياتنا «عادة ولا هنشتريها»، فغضب أنصار سعد باشا ومؤيدو ثورة 19 ورموزها، وكان حادث الاعتداء على الجريدة وصاحبها.

المدهش في الأمـر أن الهلباوي لم يدافع عن صديقه وزميله في طلب العلم، والتزم الصمت أمام ما يجري من تشوية، وبعد ثلاث سنوات من وفاة سعد زغلول تحدَّث الهلباوي مع الوزير الأسبق في الغرف المغلقة، وباح بالسر، وبرر صمته بـ «قاتل الله السياسة والحزبية.. لقد انتقل سعد إلى جوار ربه وله في ذمتي دين كنت أريـد أن أفيه بـه فـي حياتي، ولكن زملائي بحزب الأحرار الدستوريين منعوني وتشددوا في منعي».



سليمان فوزي



وهذه صورة اخرى للمظاهرات السلمية وكانت خاتمة المظاهرات تدمير الكشكول واهانة صاحبه

سينما أونطة

لم تعرف مصر العروض السينمائية للصور المتحركة قبل عام 1896. وحتى ذلك الوقت كانت الصور الثابتة "صندوق الدنيا" هي كل معرفتهم، وعندما عُرض أول فيلم سينمائي في قاعة زواني بالإسكندرية، وشاهدوا صورًا متحَركة لأشخاص يمشون ويضحكون أمام الشاشة نسب البعض هذا الاختراع العجيب إلى الجن والشياطين.. وصفت جريدة المؤيد في عددها 29 يناير 1896العرض الأول في إحدى مقالاتها ..


أولاد الذوات

"اجتمع لفيف من علية القوم وأبناء الأغنياء الأفاضل، وأفراد الطبقة المتعلمة المستنيرة، في مكان عرضه ستة أمتار، وطوله عشرون مترًا، وجلسوا على كراسي كما يحدث تمامًا في المسارح، ليشاهدوا هذا الاختراع العجيب الذي جاء من الدنيا الجديدة، والذي يسمونه بالأعجمية "سينماتوغراف" أو بالتعبير العربي الفصيح الخيالة، وقد بدأت مشاهدة هذا الاختراع العجيب في مغرب أمس.. بعد أن بدأ الظلام يخيم على المكان، فرفعت الكلوبات وصار المكان ظلامًا دامسًا..

وفجأة سمعنا صوت الآلة يتحرك ويحدث طنينًا أشبه بصوت آلات الطباعة وهي تتحرك، ثم خرج من هذه الآلة شعاع أبيض تركز على قطعة قماش بيضاء كانت أمامنا ونحن جلوس، وإذا بنا نرى أشخاصًا يتحركون أمامنا ويروحون ويجيئون..



وقد شاهدنا منظرًا لميدان الأوبرا بباريس، وهو منظر صحيح لأننا سبق أن رأيناه رأي العين عندما زرنا هذه المدينة، ثم انقطع الشعاع فترة، وعاد بعد ذلك، وإذا بنا أمام خيال صاحب الفخامة رئيس جمهورية فرنسا وهو يسلم على مستقبليه عندما زار مدينة ليون بفرنسا، كذلك خيال صاحب الجلالة غليوم الثاني في زيارته لمصنع بمدينة برلين..

وتتابعت الخيالات أمامنا لبعض العمال في مصانعهم، وبعض الناس في روحاتهم وغدواتهم في بلادهم، وقد طربنا كل الطرب لهذا الاختراع العجيب الذي هو أفضل بكثير من خيال الظل الذي نعرفه في مصر المحمية، وحدَّثنا أحد الخواجات الذين كانوا معنا أثناء الفرجة على هذا الاختراع العجيب؛ فقال إنه سيعمم في جميع أنحاء العالم، وأنه سيجلب من الخارج أفلامًا أخرى فيها مناظر تتويج قيصر روسيا وغير ذلك.. والحق أن هذا الاختراع عجيب جدًا، ونحن ننتظر له شهرة كبيرة في العالم، ومن المؤكد أن هذه المعجزة التي لا يمكن أن يفكر فيها إلا شيطان مارد.. تعد أعظم عجائب القرن التاسع عشر".. كما كتبت جريدة الأهرام والتي كانت تصدر من الإسكندرية عن العرض الأول" أن الصور المتحركة كانت عبارة عن فنون سيمائية – سينمائية – وألعاب

سحرية غريبة".



نجاح العرض الأول شجَّع بعثة "الأخوين لوميير الفرنسية" على الانتقال بالعرض إلى القاهرة، وكانت العقبة في إيجاد مكان يدار بالكهرباء؛ فالملاهي والمسارح كانت تضاء بالكلوبات.. وقع الاختيار على حمَّام سباحة أنشأه شخص يدعى "شنيدر" بجوار حديقة الإزبكية عرف فيما بعد باسم "صالة سانتي".. لم يلقَ العرض النجاح المتوقع لارتباط أهل القاهرة بالملاهي والمسارح ودور الغناء، ولم تستهوِهِ عروض خيالات الظل "السينما".. انتهز عدد من تجار الإسكندرية فرصة رواج العروض في مدينتهم، فاستوردوا أفلام جديدة وجهزوا أماكن للعروض.. كانت أول دور عرض للسينما أنشئت في البلاد "سينما توغراف باتية" بالإسكندرية.. شيِّدت السينما بالخشب، وكانت تستوعب أربعمائة شخص، بخلاف الأماكن المخصصة للسيدات، والسينما كانت مكشوفة، وكثيرًا ما كانت تهطل الأمطار على المتفرجين فيفتحوا مظلاتهم، ويتابعون العرض، فعمل بعض الباعة على تأجير المظلات مقابل خمسة مليمات.

حفظ المشاهدون العروض السينمائية من كثرة عرضها "زي أفلام كل عيد"... قل شغف الجمهور بهذه العروض، وانصرفوا عن متابعة

ما تعرضه السينما، وخاصة أن المعروض لا يمتّ بصلة للأحداث في مصر.. لجأ بعض الأجانب المهتمين بهذه الصناعة إلى تأليف اتحاد فيما بينهم، وقام بعضهم بالتقاط بعض المناظر المحلية مثل ميدان الأوبرا في القاهرة وبورصة القطن وعودة الخديوي من الإسكندرية وركوب الخيل والجمال أمام الهرم.. عاد الشغف من جديد وامتلأت دور العرض، وعاد الربح لجيوب الصُنَّاع، وزادت دور العرض في الإسكندرية والقاهرة، وصدق الأولون "الرزق يحب الخفية".

انزعج الأخوان لوميير من نجاح البعض في استثمار اختراعهم في مصر، وعادوا إلى دراسة الأمر بجدية، وقرروا إنتاج أفلام سينمائية محلية في مصر تعتمد في مضمونها على قصص التوراة، وأنتجوا أفلام "الابن الضال" و "إخوة يوسف يبيعونه".. ما فعله الأخوان لوميير طفرة هامة وتحوُّل من السينما الإخبارية والتسجيلية إلى الأفلام القصصية التي تعتمد على التشخيص والحدوتة.. لم يستطع الأجانب منافسة الأخوين لوميير في فكرتهما، واستمروا في تصوير الأفلام التسجيلية المحلية وإعادة عرضها، واستوردوا أفلامًا صامتة من فرنسا وبريطانيا.



كانت معظم الدور "على قدّ الحال"، والعرض دائمًا باكتمال العدد "اربعة ورا يا حضرات " بدون التقيد بميعاد محدد للعرض، وموزع التذاكر إما خلبوص "صبي عالمة" لديه موهبة في جذب المشاهدين بطريقة "مش هاتيجي تتفرج بقى؟" أو فتاة تجيد العزف على البيانو قبل العرض.. اعتقد المشاهدون وقتها أن الاقتراب من الشاشة يتيح لهم مشاهدة أفضل، ويجنّبهم إزعاج صوت ماكينة العرض القائمة خلفهم، فكانت دعاية دور السينما تعتمد على جملة "الجهاز الذي يستعمل عندنا لا يعرض الفيلم مرتعشًا او مزعجًا كالأجهزة في الدور الأخرى" .

رودلف فالنتينو المصري

هو الشاب ابراهيم [illegible] الممثل السينمائي بشركة [illegible] بالاسكندرية وقد اطلق عليه زملاؤه اسم رودلف فالنتينو المصري لما بينه وبين ذلك الممثل الكبير من الشبه . وهو يرى هنا بلباس الشيخ التي اشتهر به فالنتينو

انتقلت السينما الصامتة إلى الريف، وكانت مخاطرة من أصحابها.. ترجمة مضمون المشاهد بلافتات توضيحية فكرة غير مجدية في الريف.. الأمية سائدة في القرى، والمشاهد له حق الفهم، فابتكر أصحاب دور العرض مهنة المعرفاتي او المفهماتي بلغة أهل الصعيد، والمفهماتي هو شخص من الفتوات صاحب جسم عريض وصوت أعرض يغطي به مساحة دار العرض، وأجرته عن كل حفلة خمسة عشر قرشًا مقابل شرحه مضمون الفيلم للمشاهدين، وكان لبعضهم شهرة كبير في مجال المعرفتية مثل: "أبو شفة وكركوبة وخليل الملواني وأبو دومة وماشيست"، وعلى أبواب السينمات كان يهتف المنادي باسم

المفهماتي كنوع من الدعاية، فيقال مثلًا: "هلموا لسماع المفهماتي كركوبة.. اللي هيخلي العركة منصوبة.. بين البطل الشجيع.. وشلة اللصوص المقاطيع" ويقال أيضًا: يقوم بشرح الرواية والتنكيت على ممثليها المعرفاتي المشهور أبو دومة..".. التنكيت على ممثليها!!



من فيلم الباشكاتب

كان المعرفاتية من مدمني مادة المنزول -يعادلها حاليًا الترامادول- وكانوا يقومون بالشرح تحت تأثير المخدر.. المشهد عبثي بكل ما تحمله الكلمة.. الفيلم في واد، والمعرفاتي في واد آخر.. ينكت على الممثلين الذين خرجوا عن نصٍ رواية خلقها في ذهنه بفعل المخدر..

"آدي حرامي الحلة.. وقعتك سودة.. قال عايز يسرق بيت البت الحلوة.. هي دي جدعنة يا كروديا؟.. إوعي الحرامي يا ولية.. صوّتي واندهي الجيران قوام.. أهو كتفك.. ماقلنالك خدي بالك ماسمعتيش الكلام.. آدي آخرة دلع النسوان/ أيوة يا واد يا مجدع.. ينصر دينك.. إدّي له جامد.. أهو كده الشغل.. بس حاسب يموت ويحسبوه عليك نفر"،

وإذا قبل البطل البطلة قال المفهماتي "ربنا يوعدنا.. يا بختك يا عم".



قبل بداية العرض كان من الضروري إطفاء الأنوار، وكان الجمهور المتحفز يسخر قائلا: "صلحوا النور جتكوا خيبة.. سيما أونطة.. عايزين فلوسنا".. معظم سينمات وسط البلد كانت ساحات حرب بين الفتوات، وميدان للسيجال بينهم.. تتحطم فيها الكراسي، وتتمزق فيها الستائر، والدم يوصل للركب.. سرعان ما تنتهي المعركة بعزومة كشري داخل السينما المحطمة.. كثرة الشجار بين الفتوات أجبر الحكومة على سَن قانون "الضوضاء والتشويش"، وفيه تجريم للكلام أو التشاجر

او تجمُّع المتظاهرين أثناء عرض الفيلم.. كان يكفي بكاء طفل صغير حتى تستعيد الأم قيمة التذكرة وتغادر العرض، وكثيرًا ما كانت الأمهات تجبر الأطفال على البكاء عن طريق "القرص في لباليبه" في حالة عدم إعجابهن بالفيلم .



من طرائف بدايات السينما في هذه الفترة أن حريقًا شبَّ في ماكينة عرض "صالة سانتي" أثناء عرض أحد الأفلام، وكان أصحاب الملاهي والمسارح عانوا من الكساد بفعل إقبال الناس على دار العرض.. أشاع أصحاب الملاهي بين الناس أن الله سبحانه وتعالى قد أحرق "الشيطان" الذي يستخدمه صاحب السينما السنيور سانتي.. راجت الشائعة، وامتنع الناس عن دخول السينما، ولم تنفع محاولات سانتي في إقناع الناس بأن الشيطان لا علاقة له بالسينما، واشترطوا عليه إثبات أن الشيطان لا يتحرك داخل



بمبة كشر

الشاشة ويشخص مع إخوانه من الشياطين صورًا وخيالات للملوك والأمراء.. فتح السنيور سانتي ثقبًا في الكشك الخشبي الذي يضع فيه آلة العرض، ودعا الناس إلى مشاهدة الماكينة، وطريقة وضع الأفلام ليتأكدوا من عدم وجود شياطين.. نجحت فكرته. وعاد الناس إلى مشاهدة عروض صالة سانتي.



في عام 1907سعت كل دار عرض إلى اختراع يميّزها ويجذب المشاهدين، ومن الاختراعات.. عرض المصوّر عزيز دوريس بالإسكندرية أول فيلم ناطق عُرِضَ في مصر، وفكرته كانت.. فيلم أجنبي صامت يعرض على الشاشة، وبجوار الشاشة أسطوانة دائرة على جرامافون مسجل فيها حوار الفيلم.. في نفس العام عرض مسيو باردي على سينما أوليمبيا أول فيلم مترجم، وفكرته أيضًا كانت.. فيلم أجنبي صامت يُعرَض على الشاشة، وبجوار الشاشة شاشة أصغر تعرض عنوان الفيلم والحوار، وتدار باليد، وهذه الفكرة اخترعها صديقه الميكانيكي مستر فيوريللو، وظلت هذه الطريقة هي السائدة حتى عام 1934 عندما فكرت مدام بروسبيري في كتابة الترجمة على نفس شاشة عرض الفيلم، واستوردت آلة لهذا الغرض، واستعانت بالشاب "أنيس عبيد".. من اختراعات عام 1907 استخدام المؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية.. أوركسترا في دور العرض

الكبيرة، وبيانو إذا كانت السينما بتاعة الفلاية.. المشهد العنيف تُعزَف معه موسيقى مزعجة، والمشهد الرومانسي تُعزّف معه مقطوعة سلو.. المشهد فيه تكسير اطباق يقوم أحد العاملين بدار العرض بإصدار صوت مماثل من جهاز تصدر منه أصوات مختلفة.



من فيلم (زينب) الصامت

وصل عدد دور العرض في مصر في عام 1917 إلى أكثر من ثمانين دور عرض جميعها مملوك للأجانب.. أسس الإيطاليون شركة للإنتاج الفني باسم "الشركة السينمائية الإيطالية المصرية"، وقرروا إنتاج أول افلام مصرية – صامتة - بممثلين مصريين، ولهذا الغرض أنشأوا أول أستديو في مصر بجوار حديقة النزهة بالإسكندرية، واستعانوا بالرائد محمد كريم، وعمره وقتها لم يتجاوز الخامسة عشر، ووقف أمام الكاميرا في فيلم "شرف البدوي" تصوير "كورونل.. ليصبح أول فنان مصري يقف أمام الكاميرا ويمثل في أول محاولة لإنتاج فيلم"، وذهبت الكاميرا تجوب أنحاء الإسكندرية لتسجيل هذا الفيلم الذي صور كله من الطبيعة وبلا ديكورات، وعندما انتهوا من تصوير الفيلم بدأوا في تصوير الفيلم الثاني."الزهور القاتلة"، وهو أول فيلم يمنعه قلم الرقابة من العرض بعد ثورة ضد المنتجين لأنهم صوروا "القرآن" مقلوبا في بعض مشاهد

الفيلم، والسبب جهلهم باللغة العربية.. لم تستمر الشركة كثيرًا في مصر بعد أن دبَّ الخلاف بين الشركاء، وبعد قيام ثورة 19، فباعوا المعدات إلى الإيطالي المتمصر "الفيزي أورفانللي"، وتركوا مصر خوفًا من الاضطرابات السياسية.


الخلبوص (خوال)

في 1919 أنشأ الفيزي "أستديو الفيزي"، وهو عبارة عن خيمة كبيرة أقامها في فناء واسع لفيلا اتخذها مقرًا لأعماله السينمائية، وعمل معه اثنان أصبحا من الرواد، وهما الشقيقان عبد الحليم ومحمود نصر، وتخصص الأستديو في التصوير والإخراج والإنتاج والمونتاج والتحميض له وللغير، وكانت خطوة الفيزي الاتجاه إلى الأفلام القصيرة الصامتة التي تحاكي قصة ما وتعتمد على نجوم فن المسرح، فتعاون مع المخرج لارتشي في إنتاج أول فيلم مصري له حدوتة قصيرة بطولة نجم المسرح الهزلي فوزي الجزايرلي "بحبح أفندي" وقاسمته البطولة ابنته إحسان الجزايرلي "أم أحمد" في فيلم "مدام لوريتا".

بعد نجاح تجربة الفيزي في مدام لوريتا، تبعه بونفيللي وصنع فيلم "الخالة الأمريكانية" عام 1920 بطولة النجم علي الكسار وإنصاف رشدي ومحمد فهيم، ومدة عرض الفيلم عشرون دقيقة، ولحقهما المحامي فيكتور روسيتو في صنع فيلم "بلاد توت عنخ آمون" بطولة نجم المسرح الأسمر "فوزي منيب"، وعاد الفيزي للمنافسة بفيلم "خاتم

سليمان" إخراج لاريتشي وبطولة فوزي منيب وفرقته المسرحية، وعام 1923 قدَّم روزتي فيلمًا تعليميًا عن "خطر البصق"، وفي عام 1924 اشترك الكونت زغيب والبارونة منشا مع رينية تابورية في إنتاج فيلم "السينما في مصر".



عانى المسرحيون من الكساد بسبب انتشار السينما، ووصل الأمر بالفنان جورج أبيض أن قاد مظاهرة من الفنانيين، وذهبوا إلى وزير المعارف طالبين منه وقف انتشار دور السينما في القاهرة، ووقف إنتاج الأفلام الصامتة حتى لا يحدث كساد في المسارح، ولكن السينما في انتشار، والمحاولات مستمرة، وتعددت مجهودات الشباب الذين

استهواهم العمل بالسينما، وظهرت أسماء جديدة كصُنَّاع ومشاركين في الفن الجديد.



أحال المسئولون في الجيش الضابط «محمد بيومي» إلى الاستيداع «إيقاف مؤقت من الخدمة» لاشتراكه في الحركة الوطنية لثورة 1919.. سافر بيومي إلى ألمانيا لتعلم فن التصوير، وهناك تعرَّف بشيخ المخرجين الألمان «ولهام كارول» الذي مهَّد له طريق الالتحاق بأستوديوهات «أوفا». وعمل في بعض أفلامها كومبارس، وتعلم فن التصوير على يد «بارنجر»، وعمل مساعدًا له، ثم عمل في أحد معامل تحميض الأفلام، وفي أكتوبر 1921 عاد بما حصل عليه من خبرات إلى القاهرة.. لجأ إلى الأثرياء المصريين لدعم مشروع إنشاء شركة سينمائية وطنية تنافس هيمنة الأورُبِّيين على صناعة السينما.. لم يؤمن بفكرته أحد، فأنشأ بجهوده الذاتية جريدة سينمائية إخبارية «جريدة آمون».. كان يصوِّر الأحداث الهامة، ويحمضها ويطبعها في معمله الخاص بشبرا.. أهم أفلامه التسجيلية «عودة سعد باشا من منفاه» و «افتتاح البرلمان المصري».



لم يكتفِ بالجريدة المصوَّرة سينمائيًا، وانتج اول افلامه.. فيلم كوميدي رفضه قلم الرقابة بحجة أنه يسيء إلى صورة مصر لأن البطل يأكل «الملوخية» على «طبلية»، وبعده أخرج اهم افلامه الصامتة إن لم يكن اهم فيلم سينمائي مصري صامت «برسوم يبحث عن وظيفة» بطولة ابنه وبشارة واكيم وعبد الحميد زكي وفردوس حسن.. قبل أن ينتهي تصوير الفيلم توفى ابنه، ولم يستكمله بيومي، والفيلم موجود على اليوتيوب للأسف غير مكتمل.



أثناء تصوير محمد بيومي فيلمًا عن البناء الجديد لبنك مصر في شارع عماد الدين.. نشأت علاقة صداقة بينه وبين طلعت باشا حرب.. رحَّب الباشا بفكرة عرضها عليه بيومي وهي إنشاء أستديو سينمائي خاص بالبنك، واشترى منه البنك معمله الخاص وأجهزته، وعمل مصورًا سينمائيًا وموظفًا في الهيئة المشرفة على شركة بنك مصر للتياترو والسينما حتى عام 1937.. طلبه الجيش للخدمة العسكرية، وألغوا الاستيداع، وعندما بدأت حرب فلسطين تطوع، وحارب مع من حاربوا بجوار البطل أحمد عبد العزيز.



كانت الأديبة المعروفة السيدة إحسان صبري شغوفة بالتجربة السينمائية بجانب حُبِّها للأدب والكتابة، وفكرت في إنتاج فيلم تقوم فيه بالبطولة، وبالفعل كتبت قصة فيلم سمته «الضحية» وأسست شركة «سوسن فيلم».. لم تستعن إحسان في تمثيل أدوار الفيلم بأحدٍ من

ممثلي المسرح.. لكنها ضمت بعض أبناء الأُسَر الراقية، ووزعت عليهم الأدوار، والمدهش أنها قامت بالإخراج، وانفقت عليه مبالغ طائلة، وقبل الانتهاء من تصوير الفيلم.. تقدَّم إليها بطل الفيلم طالبًا يدها.. وافقت.. أهملت باقي مشاهد الفيلم، واكتفت في الحياة أن تقوم بدور الزوجة.


فوزي منيب

أما أمين عطا الله فكان أكثر احترافًا من إحسان صبري.. كان عضوًا في فرقة نجيب الريحاني المسرحية، ثم انفصل عنه وكوَّن فرقته الخاصة التي طافت في الأقاليم والدول العربية.. شاهد فيلمًا لشارلي شابلن، فقرر التجريب في السينما.. اختار فصلًا من مسرحية «الباشكاتب»، واتفق مع الرائد محمد بيومي على تصوير الفيلم، وشاركه في البطولة بشارة واكيم وعلي طبنجات، وكان واكيم محامي في المحاكم المختلطة تم فصله بسبب اتجاهه للتشخيص.. تكلف الفيلم مائة جنيه هي تكلفة الفيلم الخام والانتقالات.. أما المصور والممثلون فعملوا في الفيلم مجانًا.. عرض الفيلم في أكثر من دور عرض، وغطى تكلفته بالكامل.. أعاد أمين عطا الله التجربة بقصة فيلم «البحر بيضحك ليه»، وشاركه البطولة فردوس حسن وأمينة رزق وأخرجه الفيزي أورفانللي.. سافر به أمين عطا الله إلى لبنان.. البحر بيضحك ليه أول فيلم مصري يستخدم الخدع السينمائية وأول فيلم يعرض في الخارج.

سافرت عزيزة أمير- الممثلة المسرحية- إلى فرنسا عام 1927 للانضمام إلى شركة سينمائية والظهور في أفلامها، فأخضعوها لاختبار

أمام الكاميرا، واستعانت بصديقها الثري المعروف «فهمي قليني» في أن يقوم بالبطولة أمامها في الاختبار، لكنهم رفضوها لعدم صلاحية وجهها سينمائيًا.. عادت إلى مصر وهي عازمة على إنتاج فيلم سينمائي لتثبت أن وجهها يصلح للشاشة.. لجأت للمخرج التركي «وداد عرفي»، واتفقت معه على تأليف القصة وإخراجها على أن تتولى التمويل والبطولة.. أثناء تصوير فيلم «يد الله» اكتشفت أن عرفي لا يمتلك أدوات المخرج، ولا يجيد إدارة الكاميرا، وليس هناك خطة تصوير.. الكاميرا تدار والمخرج يرتجل، وكانت النتيجة فيلمًا مهلهلًا لا قصة ولا مناظر.. بعد أن خسرت 600 جنيه في إنتاج الفيلم.. هاجمت الصحف عزيزة أميرة، وطالبت أهلها بالحجر عليها، وناشدت زوجها بالوقوف أمام طموحها، وطالبت المسئولين بطرد المخرج التركي وداد عرفي لأنه سيتسبب في القضاء على ثروة الأسرة، وكان تعليق يوسف وهبي على الأمر «سيكون درسًا قاسيًا يعيد عقل هذه الفتاة إلى راسها».. تدخل طلعت حرب في الأزمة لقُربه من عائلة الفتاة.. لكنها استكملت الفيلم بمعاونة مخرجه الجديد «إستفان روستي»، وأعادوا تصوير عدد كبير من مشاهد الفيلم، وصيانة بعض المشاهد التي صوّرها وداد عرفي، وشاركت في الفيلم الراقصة والمطربة القديمة «بمبة كشر» كما شاركت في إنتاج الفيلم لكنها توفيت قبل عرضه.. وعُرضَ الفيلم باسم «ليلى»، وحقق نجاحًا كبيرًا.. جعله البداية الحقيقة للسينما المصرية.. نجاحه أعاد للأسرة الكبيرة أموالها ولعزيزة أمير كرامتها.




من فيلم (قبلة في الصحراء)

في الوقت الذي كانت فيه عزيزة أمير تعمل في فيلمها الأول «ليلى».. كانت منطقة فيكتوريا بالإسكندرية تشهد أول تجارب الشقيقان «إبراهيم وبدر لاما» في فيلمها الأول «قبلة في الصحراء»، وسبق وقد أقاما مسابقة لاختيار وجوة جديدة للبطولة أمام بدر لاما.. لم تتقدم أي مصرية للمسابقة، وكانت الفائزة لهذا الدور فتاة فرنسية اسمها «إيفون جوان»، وفاز في المسابقة من الرجال الوجيه «إبراهيم ذو الفقار».. بدر لاما كان مولعًا بأفلام «رودلف فالنتينو» وخاصة بفيلمه «الشيخ»، وكانت أحداثه تدور في صحراء البدو، ومنه اقتبس القصة وحوَّلها إلى «قبلة في الصحراء».. لم يكتفِ بدر لاما باقتباس القصة لكنه ذهب أبعد من ذلك حيث اقتبس إسلوبَ رودلف فالنتينو، وقلده في طريقة الجلوس والمشي وركوب الخيل.. بمعنى أدق استنسخه في السينما المصرية.. أفلام فالنتينو أطلق عليها مؤرخو السينما المصرية «أفلام الشيخ» نسبة إلى فيلمه الأول «الشيخ» حيث جو البدو والمغامرات والدسائس، وأفلام الأخوين لاما التي أخرجها الشقيق الأكبر إبراهيم لاما كانت من هذه

النوعية، وكان تصنيف إعلانات أفلامهما «درام مغامرات».. شارك في بطولة «قبلة في الصحراء» الشاب إبراهيم ذو الفقار.. نجل سعيد باشا ذو الفقار كبير أمناء الملك فؤاد، ورغم نجاحه في الدور.. أدى ظهوره على الشاشة إلى غضب الأسرة والأوساط الأرستقراطية، وغضب الملك نفسه، فأصدر مرسومًا ملكيًا بتعينه ملحقًا سياسيًا في مفوضية لندن ليبعدوه عن التشخيص.. سافر بالفعل إلى لندن لكنه توفي بعدها هناك.

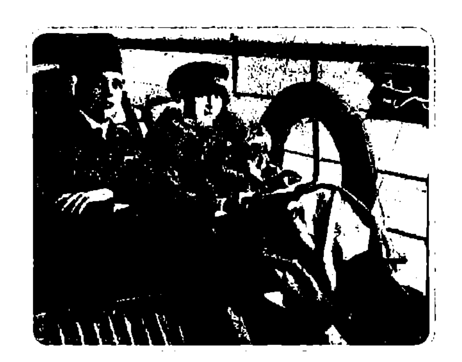

محمد بيومي

في عام 1919 سافر يوسف وهبي إلى إيطاليا لدراسة التمثيل المسرحي، واستقر فيها حتى عام 1923.. اشترك بالتمثيل في ثلاثة أفلام إيطالية صامتة، وهي: «قفزة الظلام» بطولة الميرانتي مانزيني و«إرادة الله» بطولة هيلدا واتسون، و«ليلة رعب» بطولة بينا مانكيللي، وعاد إلى مصر ليؤسس فرقة رمسيس المسرحية.. في هذه الفترة عاد محمد كريم من ألمانيا بعد أن درس فن الإخراج، وتواصل مع طلعت باشا حرب محاولاً إقناعه بتمويل مشروع فيلم رواية «زينب» للدكتور محمد حسين هيكل- أول فيلم روائي مصري - بعد أن رفضه يوسف وهبي ورفضته شركة أوفا الألمانية.. ألحقه طلعت حرب بشركة «التياترو والسينما» التابعة لبنك مصر، ومن خلالها أنتج عددًا من الأفلام

التسجيلية عن حديقة الحيوان وعدد من مشروعات البنك.. لم يمر وقت طويل حتى أرسل له يوسف وهبي يبلغه بموافقته على تمويل فيلم «زينب»، ابتهج محمد كريم برسالة وهبي، واستقال من وظيفته بالبنك، وتفرغ لفيلم «زينب».

زار «كفر غنام» حيث مكان الأحـداث الحقيقية للفيلم، وشاهد منزل زينب، وتحدَّث إلى بعض أقاربها وإلى أهل القرية الذين عاصروها.. اختار كريم «بهيجة حافظ» ابنة حافظ حسن باشا للقيام بالدور، وتغاضى عن مفرداتها التي تمتلئ باللكنة الإنجليزية لأن الفيلم صامت.. كانت دعاية الفيلم قبل التصوير وأثناؤه قائمة على بنت الحسب والنسب.. بنت الباشا بطلة الفيلم.. ثار البعض لهذه الأخبار، وهاجموا يوسف وهبي؛ معتبرين أن عمل ابنة أسرة كبيرة في السينما يتنافى مع التقاليد والكرامة.. نشر بعضهم في الصحف يناشدون أسرة بهيجة حافظ أن يمنعوها من العمل حرصًا على سمعتهم.. أقامت أسرتها عزاء على روحها على اعتبار أنها ماتت في نظرهم، وانتشر وقتها خبر أن أحد شباب أسرتها قرر قتلها تخلصًا من العار الذي ألحقته بأسرتها بسبب اشتغالها بالسينما، فاضطر يوسف وهبي إلى الاستعانة بإدارة الأمن العام لتضع بهيجة حافظ تحت حراسة مشددة خوفًا على حياتها.. كانت تذهب إلى مكان التصوير وتعود إلى منزلها وحولها عدد كبير من رجال البوليس العلني والسري يحملون السلاح.. استمرت بهيجة مهددة بالقتل حتى تزوجت من محمود حمدي الذي نشر في الصحف أنه موافق على عمل زوجته بالسينما، فهدأت العاصفة، وخرج فيم «زينب» إلى النور في 15 إبريل 1930.

محمد بيومي



عاد المخرج التركي وداد عرفي إلى القاهرة بعد أن هدأت العاصفة التي ثارت ضده بسبب فيلم «النبي»، والتي وصلت إلى حد المطالبة بطرده من البلاد.. تناسى الناس الحدث سريعًا، مما شجعه على محاولة إخراج فيلم بعنوان «ليالي القاهرة» لراقصة تركية اسمها «إفرانز»، والمشروع لم يكتمل بسبب إصدار عدلي يكن قرارًا بإبعاد الراقصة عن البلاد؛ إنقاذًا لأموال أحد أبناء الأثرياء الذي كان على علاقة بها.. ثم ورَّط معه الفنانة عزيزة أمير في فيلم «يد الله» كما أسلفنا، ورغم أن الفيلم قام باستكماله وإعادة تهيئته للعرض الفنان إستيفان روستي، إلا أن الفنانة عزيزة أمير وضعت اسم وداد عرفي بجوار روستي في خانة الإخراج حتى لا يقاضيها ويبتزها.. نجاح فيلم «ليلى» «يد الله» سابقًا.. فتح لوداد عرفي أبواب السينما.. تعاقدت معه الفنانة فاطمة رشدي على فيلم «تحت الشمس المشرقة»، وبعد انتهاء التصوير أحرقت فاطمة رشدي الفيلم.. بعض المصادر تؤكد أن في الفيلم مناظر مبتذلة رفضتها فاطمة، ومصادر أخرى تؤكد أن فاطمة لم ترضَ عن دورها في الفيلم، واتهمت عرفي أنه تعمد الإساءة لها مدفوعًا من منافسيها في المسرح..

بعدها شارك وداد عرفي بالتمثيل في الفيلم الثاني للأخوين لاما «فاجعة فوق الهرم» إخراج إبراهيم لاما، وقام فيه بدور الشرير، وآخر أفلامه عام 1928 كان مع منتجته آسيا «غادة الصحراء» كتب عرفي القصة وقام بالبطولة والإخراج.. يكاد يكون هذا الفيلم الوحيد لوداد عرفي الذي حقق نجاحًا نسبيًا.



آخر الأفلام الصامتة التي أنتجت في الفترة بين ١٩٢٧ : ١٩٣١

الكوكايين إخراج توجو مزراحي

- معجزة الحب الأخوان لاما بطولة بدر لاما وثريا رفعت إخراج بدر لاما
- صاحب السعادة كش كش بك بطولة نجيب الريحاني وكمال المصري إخراج توليو كاريني
- بنت النيل بطولة عزيزة أمير وعباس فارس وأحمد علام إخراج أحمد جلال

❖ اللوتريا نمرة 5001 بطولة شالوم وأحمد المشرقي.. إخراج توجو مزراحي، وأحمد المشرقي هو نفسه توجو مزراحي وكان يستخدم هذا الاسم إذا مثل.



وداد عرفي

❖ مخزن العشاق بطولة آسيا وماري كويني وعبد السلام النابلسي إخراج بوبا

بعد ظهور السينما الناطقة في مصر.. لم يكن في استطاعة كل المنتجين السفر إلى أوربّا للاستعانة بأجهزة السينما الناطقة الموجودة هناك، وهو ما دفع الكهربائي «محسن سابو» إلى ابتكار جهاز للسينما الناطقة، وسابو أحد الذين كانوا يمتلكون إذاعة أهلية قبل تأسيس الإذاعة الملكية المصرية.. استعان معظم المنتجين باختراع سابو في أفلامهم، واختراعه كان يعتمد على تصوير الفيلم صامتًا مع تحريك شفاه الممثلين بالحوار الخاص بكل مشهد.. يجتمع الممثلون في غرفة «معزولة»، ويشاهدون ما مثلوه من مشاهد وكلما تحركت شفاه أحدهم في الفيلم.. نطق الممثل في الغرفة بالحوار المناسب مع تحريك شفاه، فيسجله الميكرفون الموجود فوق رؤوسهم في غرفة التسجيل.. ثم يطبع شريط الصوت مع شريط الفيلم.. عيب هذه الطريقة أنه لم يكن من السهل ضبط الصوت مع حركة الشفاه.

أصبحت السينما ناطقة منذ عام 1932 بفيلمي: «أولاد الذوات» و«أنشودة الفؤاد» إما بتجهيز الأفلام في أوربّا، أو باستخدام اختراع «محسن سابو»، ورغم ذلك عرض في فيلم 1933 فيلم «الضحايا» صامتًا، وعندما سُئلت منتجته الفنانة عزيزة أمير عن السبب قالت: «لا تحسب ذلك تقصيرًا منّي في الصرف والبذل، وإنما كان هذا موضوعًا معقدًا، فحوادث القصة تقع في أرض إنجليزية بين أسرة هندية وشاب مصري،

ولم نستطع مطلقًا التوفيق في اختيار الكلام الذي يتحدث به الممثلون إذا كان الفيلم ناطقًا.. إذ بديهي أن المصري يتكلم العربية والهنود يتكلمون لغتهم الهندية فكيف يتفاهم الممثلون.. فكرنا في الإنجليزية.. فكانت النتيجة أن الفيلم سيكون معظمه بهذه اللغة وبذلك يخرج عن الغرض المقصود، ناهيك عن إني لا أجيد اللغة الإنجليزية.. لهذا رأينا أن يظل صامتًا».



الصحافة السينمائية



ما قامت به جريدة المؤيد في التغطية الصحفية للعرض الأول السينمائي في مصر (29 يناير 1896)، أضف إلى ذلك تغطية جريدة الأهرام في نفس التاريخ ساهم بشكل كبير في تعريف المصريين بالاختراع الجديد، وكان ولابد من وجود

صحافة سينمائية تساهم في تغطية أخبار السينما لسد حالة الشغف لدى المهتمين بهذا الفن.. صدرَ في القاهرة مجلة «الصور المتحركة» عام 1923، وكان طبيعيًا أن تكون معظم أخبارها السينمائية متعلقة بالسينما في أوربًا لأن السينما المصرية كانت مازالت تحبو ببطء الهواة وكان التجريب هو الغالب، ولم تظهر معالم محددة للسينما المصرية.. ثم صدرت مجلة «معرض السينما» في الإسكندرية عام 1924، ومجلة «أوليمبيا السينماتوغرافية» في القاهرة عام 1926، ومجلة «مينا فيلم» الناطقة بلسان جمعية مينا فيلم.. ساهموا في نشر الثقافة السينمائية، ومهَّدوا الطريق أمام نهضة سينمائية حقيقية، واهتموا بنشر الأخبار الفنية المحلية والعالمية.



إحسان صبري فيلم (الضحية)

بعد عام 26 خطت مصر خطواتها الأولى نحو صناعة السينما، فاهتمت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية بأخبار السينما والفنانيين والنقد الفني، وخصصت للسينما أبوابًا ثابتة في أعدادها مثلما كانت تخصص أبوابًا للطبقة «الهاي لايف»، وفي عام 1932 ومع عرض أول فيلم مصري ناطق «أولاد الذوات» أصدرت دار الهلال مجلة «الكواكب» الأسبوعية، وشارك في إصدار المجلة المخرج أحمد جلال مخرج الفيلم الصامت «بنت النيل»، وعام 1934 أصدرت جماعة النقاد السينمائيين مجلة « فن السينما».. ساهم في تحريرها المخرج أحمد

بدرخان، وتوالت المجلات الفنية «المحروسة» و «الشعاع» و «أنوار المدينة» و «العروسة والفن السينمائي»، وبعد الحرب العالمية الثانية واظبت مجلة «الإثنين والدنيا» على إصدار عدد سنوي عن السينما، ومع النهضة السينمائية في الأربعينيات ظهرت مجلات «السينما» و«دنيا الفن» و «الحقيقة» و «الأستديو» و«الفن» و«سيني فيلم» و«النجوم».. بعض هذه المجلات كانت تصدر باللغتين العربية والإنجليزية .



المفهماتي

شفتي بتاكلني انا في عرضك

في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وبفعل الغلاء، وتردي الحالة الاقتصادية، وعدم الاستقرار الداخلي.. ظهر فن يعبّر عن المرحلة أطلق عليه فيما بعد "فن العوالم والخلاعة"، وفن العوالم أغاني تخاطب الحس الشهواني لدى المستمع، والتواصل معه يكون بالكلمات المبتذلة والأداء الرقيع، وفن العوالم عبارة عن طقطوقة مكوَّنة من مذهب يردده التختجية وأغصان "كوبليهات" يغنيها المؤدي.


نعيمة المصرية

وكانت الطقطوقة تقدَّم في حفلات مستقلة أو بين فصول الراويات التمثيلية على خشبة المسرح، وأشهر الفِرَق التي استعانت بهذا الفن

في مسرحها فِرَق أولاد عكاشة والريحاني والكسار وفوزي الجزايرلي وغيرهم، والهدف منها جذب المشاهدين، وإتاحة الفرصة للممثلين لاستبدال ملابس الأدوار.



من أمثلة الطقاطيق لفَن الخلاعة.. "حلف إنه يمتعني" للمطرب عبد اللطيف البنا، و"عاشق وليه تلوموني وبين النهود واحملوني" للمطرب صالح عبد الحي، "حرَّص مني إوعى تزغزغني جسمي رقيق مايستحملشي" للمطرب محمد عبد المطلب، و"شفتني بتاكلني انا ف عرضك خليها تسلم على خدك" للفنانة فاطمة رشدي، و"يوه يا دين النبي تَتَّك سارح.. ماشبعتش من ليلة إمبارح" للفنانة فاطمة رشدي و"ارخي الستارة اللي ف ريحنا أحسن جيرانك" تجرحنا للمطربة منيرة المهدية، و"إيه اللي جَرَى ف المندرة.. شيء ما اعرفوش دانا كنت لسه صغيرة"، و"خد البزة واسكت"، و"ياريتني ف حلقك برقة واتمتع فوق خدك ساعة" للمطربة تودد، و"إن كنت شاريني ماتبعنيش مش ليلة تجيني وعشرة مفيش" لفنان الشعب سيد درويش، و"تلبس وتقلع شيفتشي لفنان الشعب سيد درويش".

وكان تداول الأغاني بين المطربين في هذا الوقت شيئًا معروفًا، فمثلًا أغنية منيرة المهدية من الدارج سماعها بصوت عبد اللطيف البنا، ويحدث لغط فيما بعد حول مطرب الأغنية الأساسي، وكان طبيعي أن تحاول كوكب الشرق أم كلثوم التجريب في بدايتها الفنية، وجربت بالفعل وغنت "الخلاعة مذهبي".. الكاتب محفوظ عبد الرحمن مؤلف مسلسل أم كلثوم أكد في حواره مع مجلة الكواكب 17 فبراير2015 أن الشاعر أحمد رامي هو شاعر طقطوقة الخلاعة مذهبي، وهو كلام نفاه مسبقًا الشاعر جودت صالح في كتابه "بلابل من الشرق" حيث أكد أن صديقه أحمد رامي كان من أول الناقمين على فن الخلاعة، مما شجعه على ترك الكتابة بالفصحى والاتجاه إلى كتابة الأغاني العامية، وشكل الجانب الثقافي في شخصية أم كلثوم.. الثابت أن معظم أغاني الخلاعة في فترة العشرينات كانت من تأليف "محمد يونس القاضي"، أما زكريا أحمد وسيد درويش، فلهما نصيب الأسد في التلحين.

نصب محمد يونس القاضي نفسه قاضيًا على نفسه، وانتقد أشعاره المنسوبة على فن الخلاعة.. كتب يونس القاضي رسالة زجلية وجّهها إلى نفسه في مجلة الصباح العدد 153 الصادر في 1 سبتمبر 1929 كتب فيها:



بالله بالله يا أستاذ ده شيء ما يصح

راح فين كلام الخلاعة مثل سح ودح

إن كنت أطلب سماعي المطربة تقول بح

بعد العشا فين وفين إرخي الستارة كمان

مع الأسف إنها أدوار تنجح

أنا هنا في إدارة المغنى صوت رقيب

مفيش خلاعة ولا حبيبة تناجي حبيب

مرض النفوس في الأغاني عيّنوا له طبيب

بالشدة وبالحزم أو بملاينه على كيفي

واللي يسيء له عقاب وكافئ اللي يصيب

مدح النبي فين؟ وياما أحلاك يا طه يا زين

والدعوة للمجد اقبلها أنا ع العين

ومولاي صلي وسلم ودتوها فين؟

من يوم ما برهوم ويا عصفوري وعلي والزيت

واحنا نعق في بلادنا يا شيخ غراب البين.



ردُّ الشيخ يونس القاضي كاتب الخلاعة على يونس القاضي الرقيب:

وحق من حنتفك في البدلة والطربوش

وجمّلك صورة مش عايز عشانها رتوش



ورغم سلطانك العالي بـ وش بشوش
راح نعمل إيه يا أفندي والبلد عايزة!!
طقاطيق وأدوار بتوع حياك وحلق حوش
إذا دعينا الجميع لمكارم الأخلاق
ماتجبش حق النشوق إلا بشكل وخناق
وغير إمارة البليد والخايبة واللعواق
ما دمنا في مجتمع مفسود وزي الزفت
ومنين نجيب المرقة والفتة أم رقاق؟
بيقولوا يا بيه مثل من جملة الأمثال
ارقص وزمر إذا طبيت في بيت طبال
والمصلح الشهم وسط العايبين بطال
وزي ما ترسى دُق لها ولا مؤاخذة
وإن كنت شاطر يا بيه ألّف لنا موال.

ختم الرقيب يونس القاضي كلامه الموجّه للشيخ يونس القاضي قائلا:

يا ولاد بلادنا وأحفاد النبوغ والفن
وأهل الكرم والسخاء وأهل العطاء والمن
والهايلين اللي خلوا أهل الفنون تنجن
صلوا وصوموا وزكوا وحجوا واشهدوا
وعلموا الدين لكل صغير في السن

فاطمة رشدي

آدي اوامري وآدي اللايحة والأحكام
وبلغ إخوانك إن اللي يخالفني..
ما أقبلش منه رجا ولا واسطة ولا إكرام.



وبصفته رقيبًا على المصنفات الفنية أواخر 1928 قرر وقف بث اغانيه على الإذاعات الأهلية "قبل تأسيس الإذاعة المصرية"، ومنع التصريح للأغاني المبتذلة الخليعة للحد من انتشارها وأثبت بالفعل لا

بالقول أن قلمه جدير أن يبدع روائع "أنا هويت وانتهيت"، و"أهو ده اللي صار"، و"بلادي بلادي"، و"يا بلح زغلول"، ويستحق ما قاله الزعيم مصطفي كامل "يا شيخ يونس أنا بخطب بالفصحى والفرنسية والإنجليزية ولكن الناس في حاجة لمن يحدثهم بلغتهم وأنت الوحيد الذي يستطيع ذلك".

أولى مسرحيات نجيب الريحاني والمثبوتة في مذكراته كانت مسرحية «سكرة بنت دين كلب»، وهي من المسرح المترجم، وكان الريحاني في بداياته الفنية لقلة خبرته الفنية يستخدم الاستسهال في النقل والترجمة، ويغير فقط عنوان الرواية لعنوان يثير الفضول والتساؤل مثل العنوان المشار إليه، ومعظم مسرحياته على نفس الوتيرة أمثلة «يا بت ماتمشيش كده عرياني»، ومسرحية «الغندورة»، ومسرحية «أم 44».. هذه المسرحيات هي المسرحيات التي كانت بين فصولها أو في سياق عرضها كانت تعرض أغاني الخلاعة كنوع من الجذب، وكان الراعي الرسمي في «تعبئة» أغاني الخلاعة وتوزيعها في أسطوانات اليهودي «ليتو باروخ مسعودة» وكيل شركة إديون لتسجيل الأسطوانات ومدير شركة مصر للتمثيل والسينما، وباروخ بالمناسبة هو ملحن أغنية «سوسو حنتوسو.. يا حلاوتك يا لطفتك يا سوسو».

لفظ «تعبئة» في الفقرة السابقة لم تكن سهوًا أو خطأ مطبعيًا، ولكنه نفس المصطلح الذي استخدمته الفنانة فاطمة سري في مذكراتها وهي تشير إلى تسجيل الأغاني على أسطوانات، وإن كان هذا يعني شيئًا، فهو يعني أننا الآن نستخدم العديد من المفردات التي توارثناها من الأجيال السابقة، وأننا على نفس خط الابتذال.

أما يوسف وهبي بك فكان له في هذه الفترة سياسة تختلف في الجذب بعيدة عن فن الخلاعة، وهي على نفس وتيرة «الجمهور عايز كده».. ابتكر دعاية جديدة للجذب ذكرتها الفنانة فاطمة رشدي وهي تستعرض فترة عملها معه في مذكراتها، وحكت أنها شاركته مسرحية «فتاة بورسية» ترجمة زوجها رائد المسرح المصري عزيز عيد.. في أحد مشاهد الرواية كان البطل يوسف وهبي يقبّل البطلة فاطمة رشدي قُبلة طويلة، ولاحظ يوسف وهبي أن الجمهور تفاعل بشدة مع القُبلة وصدرت منه آهات إعجاب، فصوَّر يوسف وهبي «القُبلة» سينمائيا، وأمر بعرضها عدة مرات بين فصول الرواية، وكان المشاهد المعجب بالقُبلة يحضر إلى المسرحية أكثر من مرة لمشاهدة القُبلة سينمائيًا. ونجحت المسرحية بفضل قبلة يوسف وهبي .



الملاحظ أن رواد فن الخلاعة هم أنفسهم روادنا في المسرح والسينما والموسيقى، وإسهاماتهم في فن الخلاعة سقطة تخص عصرهم، ولا تنفي عنهم ريادتهم وروائعهم من مسرحيات مثل: توسكا وكليوبترا ومارك أنطونيو، وأغاني طربية مثل: زوروني كل سنة مرة.. ما سردناه لا يقلل منهم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننصب لهم محاكم تفتيش، وبعد إنتاج جيلنا A7A الشبشب ضاع.. لا يمكن أن نلقي الآخرين بالحجارة وبيتنا من زجاج .





بداية التشوية التسخيف من الفعل نفسه، والسخرية من القائمين عليه، ثم ترديد التسخيف بكل الوسائل حتى يصبح للعامة يقينً، وأول التسخيف الذي تعرَّضت له ثورة عرابي أنها أصبحت في نظر كُتّاب السُلطة هوجة، والهوجة فعل همجي غير منظم، ولسنوات طويلة أطلق عليها هوجة عرابي، وصدق العامة من كثرة التكرار أنها فعل عسكري غير منظم، والخيانة توارت في نظر الشعب خلف لفظ «ولس»، وخوفًا من آذان الحوائط رددوا «عرابي هزمة الولس».. وكان منطقيًا بهذه الخلفية أن يتعرض الرجل للإهانة والبصق على وجهه بعد عودته من المنفى، والأكثر منطقية أن يستعرض البعض شجاعتهم أمام رجل لا حول له ولا قوة.. رجل هزمته سنوات المنفى والمرض والحزن والجحود.. كتب شاعر الأمراء وأمير الشعراء، احمد شوقي مستعرضًا شجاعته.. مهينًا عرابي ومجاملًا السرايا..

صغار في الذهاب وفي الإياب..

أهذا كل شأنك يا عربي!!

وللمرة الأولى والأخيرة تخلّى عرابي عن صمته، ورد على شوقي ردًا قاسيًا

نفاق في الحضور وفي الغياب
وهذا شأن أولاد الكلاب
عفت أفكار مثلك يا جهول
ويعفى الله عن وطن مصاب.

ما يؤكد أن حركة عرابي هي ثور شاملة كانت تحمل في أركانها إصلاحات، وليست هوجة أو انقلابًا عسكريًا على الخديوي طمعًا في السُلطة، وكان ولابد من هزيمتها حتى لا تشكل خطرًا على أصحاب المصالح.. قول كرومر نفسه عنها في كتابه الثورة العرابية: «ليس هناك ريب أن حركة عرابي كانت من بعض الوجوه حركة قومية»، والإصلاح الذي ناشده عرابي ذكره محمود الخفيف في كتابه «أحمد عرابي المفترَى عليه» وعدّد ما كان ينشده عرابي «وتكلم عرابي كلامًا طويلًا عن الإصلاحات التي كان يفكر فيها محمود سامي البارودي والوزراء، وتلك الإصلاحات التي وضع معظمها في ثبت الحسنات التي أسداها الاحتلال البريطاني إلى مصر والتي ادعاها اللورد كرومر لنفسه».. من هذه الإصلاحات إبطال السخرة التي أنزلها الأغنياء من الباشاوات التُرك بالفلاحين، وإبطال احتكار هؤلاء الأغنياء لمياه الري عند زيادة النيل، ثم حماية الفلاحين من زبانية الربا من اليونانيين الذين وضعوهم بين براثنهم معتمدين على عيوب المحاكم المختلطة.. كما تناول التفكير في الإصلاح للنكبة الزراعية، ذلك العلاج الذي طالما جعله اللورد كرومر من مفاخره بوجهٍ خاص، ألا وهو إنشاء مصرف زراعي تحت إشراف الحكومة.

الإصلاح عند عرابي لم يقتصر على الري ومحاربة الربا والإصلاح الزراعي، ولكنه تجاوزها إلى العدل والتعليم «وتكلم عرابي فيما تكلم فيه من المسائل عن إصلاح العدالة التي تطرَّق إليها الفساد في صورة مخيفة، وعن تعليم الرجال بل النساء كذلك، وعن طريقة الانتخاب التي تنتقي للبرلمان الجديد، وعن مشكلة الرق، وقد تكلم طويلًا فيما تكلم عن هذه المشكلة الأخيرة».. ما تكلم عنه عرابي كان برنامج حكومة الثورة.

وبرنامج الحكومة سبق ما نفّذه طلعت باشا حرب رائد الاقتصاد الوطني من إنشاء بنك وطني مصري بثمانية وثلاثين عامًا، وكانت محاولة لإنقاذ ما تبقى من مصر.. بعد ديون تجاوزت مائة مليون جنيه من عصر إسماعيل، وبعد امتيازات أجنبية جعلت كل الجنسيات بخلاف المصري دولة داخل الدولة، فاشتروا الأراضي والعقارات والشركات، وفتحوا المحلات، وضاربوا في البورصة، وأسسوا البنوك..

في عام 1882 أرسل عرابي خطابًا لمجلس شورى النواب في شخص النائب الأشهر عبد السلام بك المويلحي يحثه على تبني فكرة إنشاء بنك مصر، وهذا نَصه..

حضرة الأخ المكرم عزتلو عبد السلام المويلحي بك

لقد كان من الأماني الوطنية وجود شركة مالية أهلية تنقذ أهل الفلاّحة من ظلم المرابين ونجعل الحاصلات في أمن من الضياع وكثرة المصاريف وترد أرباح البلاد لأهلها، وما برحنا نحدّث النفس بهذه الأمنية حتى وقفنا على مشروع بنك وطني مصري قدّمه إلينا بعض وجهاء التجار، فوجدناه وافيًا بالمقصود عميم المنفعة للوطن، واضح اللزوم للزراعة والتجارة والصناعة، فرأينا من الواجبات الوطنية السعي في إنجاحه بما يصل إليه الإمكان، وحيث كنتم حضراتكم من أحرص أبناء الوطن على هذه الآثار النافعة، ومن أدراهم بفوائدها، وأقدرهم على تدارك أسباب ظهورها إلى عالم الفعل.. بادرنا بترقيم هذه السطور لحضراتكم على رجاء أن تمدوا يد المساعدة بهذا المشروع بالترغيب فيه والدعوة إلى الإقبال عليه في مستقركم وفي البنادر والبلاد بين إخواننا أبناء الوطن، وهذا وإن كلفكم عناء وتعبًا وسفرًا إلا إن كل ذلك لا يؤسَف عليه جنب تحصيل المنفعة للوطن العزيز.

وفقنا الله جميعًا لخدمته بما يرضاه

ناظر جهادية وحربية

أحمد عرابي.

الأمر عند عرابي تجاوز الكلام وخطاب البرلمان، ودخل في حيّز التنفيذ.. اشتغلت به الحكومة الوطنية في سنة 1882 بوضع نظام الشركة التي تؤسس هذا البنك ولوائحها، ولكن حالت الأوضاع السياسية واحتلال بريطانيا لمصر دون تنفيذ الفكرة، ومنذ عام 1911 حاولت عدة دوريات مصرية إعادة إحياء فكرة إنشاء بنك وطني مصري بنفس فكر عرابي وزملائه.



اللورد كرومر

جريدة المؤيد نشرت في (1 إبريل 1911) رسالة لمدرس لغة عربية اسمه حسين محمد الجمل «أما أغنياؤنا فهم قليلو الأعمال النافعة.. أين المصانع التي يأوي إليها من لا عمل له؟ لماذا لا تنشأ مصانع كبرى؟.. لماذا لم تنشأ المصارف الأهلية على الطريقة المشروعة فتقي صغار المزارعين الفقراء».

وعادت المؤيد فنشرت في (3 ابريل 1911) رسالة القارئ نصيف النقبادي «يا حبذا لو حقق لنا بعض الحاجات الحيوية التي لا يقوى عليها الأفراد، كتعميم التعليم الابتدائي، وإنشاء مصرف وطني يبقي لنا البقية التي لم يستولِ عليها الأجنبي»، ونشرت جريدة المقطم في (28 ابريل 1911) رسالة القارئ محمد زكي يدعو لإنشاء بنك مصر «طالب اغنياء الأمة ومموليها بوضع أموالهم في هذا المصرف أمانة لهم تحت الطلب فهذا أولى وأفضل من وضعها في البنوك الأجنبية، أو كنزها في الخزائن الحديدية أو دفنها في باطن الأرض»، وأعادت مجلة اللواء نشر النظام واللوائح التي وضعها عرابي في أعدادها الصادرة 4، 5، 6 مارس سنة 1912.

عندما أشهر العميد إسلامه

في تاريخ الأدب العربي الحديث لم يواجه كاتبٌ مصريٌّ ما واجهه عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين.. لم يناقشوا أطروحاته، وأهانوه، وكفّروه، ونادوا بفصله من الجامعة، ومحاكمته.. تعددت المنابر الصحفية المهاجمة، وكثرت الكتب التي شككت في عقيدته، ونظمت المظاهرات التي نادت بسقوطه وعزله، وبعدها أجبر على إشهار إسلامه.



في مقدمة كتابه «في الشعر الجاهلي» عام 1926 كتب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين «أريد الا نقبل شيئًا مما قاله القدماء في الأدب وتاريخه إلا بعد بحث وتثبت إن لم ينتهيا إلى يقين فقد ينتهيان إلى رجحان" ثم كتب عن الشعر الجاهلي، وحقيقة وجوده قبل الإسلام، وخاصة أشعار الجاهليين في تعظيم شأن بني هاشم، وكتب عن أصول اللغة العربية، والعرب البائدة والمستعربة، وفي خلال استرساله في البحث كتب "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدّثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي".. قبل تدوينه الفقرة السابقة نوّه طه

حسين أنه سيعتمد على منهج ديكارت متجردًا من العواطف القومية والدينية دون اي تأثيرات، وانه لدراسة الأدب العربي لزامًا علينا الا نهتم بتمجيد العرب أو الغض منهم.

وكانت العاصفة.. عشرات الكتب صدرت تهاجم "في الشعر الجاهلي" وكاتبه، ودارت الكتب في فلك أن الكاتب كذّب القرآن، وطعن في نَسَب النبي، وانكر القراءات، واهم الكتب الصادرة وقتها.. كتاب "نقض كتاب الشعر الجاهلي" للشيخ محمد الخضر المدرس بالأزهر، وكتاب "النقد التحليلي لكتاب الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد أحمد الغمراوي، وكتاب "الشهاب الراصد على الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد لطفي جمعة، وكتاب "نقد كتاب الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد فريد وجدي.

ويبقى كتاب "تحت راية القرآن" للأستاذ مصطفى صادق الرافعي هو الأشد لهجة نقدية بين الكتب، وفيه "كانت دروسه الأولى في الشعر الجاهلي كفرًا بالله وسخرية بالناس فكذّب الأديان، وسفّه التاريخ وكثر غلطه وجهله.. إن طه حسين هذا مجموعة أخلاق مضطربة وافكار متناقضة وطباع زائفة.. طه رجل أرسلوا لسانه وقلبه إلى أوربّا، فرجع بلسانه وترك قلبه هناك في خرائب روما.. الأمر الذي نخشاه من طه أنه أداة استعمارية تعمل على إفساد أخلاق الأمة " .

خلاف الكتب نشرت الصحف عشرات المقالات النقدية والتكفيرية للعميد، وكانت صحيفتا كوكب الشرق والأهرام تحملان لواء الهجوم

والنقد.. أما جريدة السياسة فكانت المنبر الوحيد المؤيد له والمدافع عنه، ونشرت على لسانه دفاعًا بعدما أغلقت باقي الصحف أبوابها في وجهه "إنهم يرمونني بالإلحاد على أني أؤكد أن ثمانية وتسعين في المائة ممن يتهمونني لم يقرأوا كتابي، ولستُ أقدّم لك إلا دليلًا واحدًا.. في الصباح كتب لي شيخ من الزقازيق يطلب نسخة من الكتاب لكي يستطيع أن يقول فيه رأيه بصراحة، ومع ذلك فإن هذا الشيخ قد وقّع منذ اثنتي عشر يومًا عريضة يطالب موقعوها برفتي!!!.. العبارة الوحيدة التي يمكن أن أنتقَد من أجلها تضع النصوص المقدسة بعيدة عن قسوة المباحث التاريخية.. قلت إنه يكفي لكي تثبت من الوجهة العلمية وجود إبراهيم وابنه في التاريخ أن يكون اسماهما قد ذُكرا في التوراة وفي القرآن، وليس معنى ذلك أن إبراهيم لم يوجد قط كما نُسب إليّ القول".



تظاهر طلبة الأزهر ضد طه حسين في 31 أكتوبر 192، وأحرق المتظاهرون صحيفة السياسة في ميدان الحسين، وهتفوا بسقوط الملحدين، وسقوط طه حسين، وسقوط الصحيفة، وتطور الأمر ووصل

إلى نواب مجلس الأمة.. طالب بعضهم بمصادرة الكتاب، وإلغاء وظيفته في الجامعة، وتكليف النيابة العمومية برفع دعوى ضده، وإلا يتم سحب الثقة من الوزارة الإئتلافية.. لم يتوقف الأمر عند ذلك بل أشاع البعض أن ابنه أنس اسمه الأصلي كلود، وابنته اسمها الأصلي مارجريت، وأن له طفلة توفت ودُفِنَت في مقابر الفرنسيين، وأنه كاره للإسلام وللمسلمين.



أصبحت الحكومة طرفًا في الأزمة.. إما محاكمة طه حسين أو سحب الثقة منها.. وكان الحل الأمثل لاحتواء الأزمة من وجهة نظر رئيس الجامعة أحمد لطفي السيد، وسعد باشا زغلول والملك فؤاد وعدلي باشا يكن رئيس الوزراء يتلخص في إشهار طه حسين إسلامه لتكذيب الشائعات، وشراء كل نسخ كتاب في الشعر الجاهلي، ومنعه من التداول.. اشترت الجامعة بالفعل ثمانمائة وواحد وعشرين نسخة من الكتاب بسعر مائة جنيه، وفي اليوم التالي أرسل طه حسين رسالة إلى مدير الجامعة لنشرها في الصحف، وكتب فيها:

"كثر اللغط حول الكتاب الذي أصدرتُه منذ حين باسم "في الشعر الجاهلي"، وقيل إني تعمدت فيه إهانة الدين والخروج عليه، وأني أعلِّم الإلحاد في الجامعة، وأنا أؤكد لعزتكم أني لم أرد إهانة الدين ولم أخرج عليه، وما كان لي أن افعل ذلك وأنا مسلم أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. وأنا أرجو أن تتفضلوا فتبلغوا هذا البيان لمن تشاءون وتنشروه، وأن تقبلوا تحياتي الخاصة، وإجلالي العظيم".





استخدم الفاطميون الموالد الدينية دعاية لمذهبهم وسياستهم، وإلهاء الشعب، وساعدهم في ذلك محبة المصريين لـ آل البيت.. في البداية كانت الموالد قاصرة على الطرق الصوفية، ورفع الأعلام في مسيرة الشيخ القطب وصولاً إلى ضريح الشيخ المحتفى به، ثم الإنشاد الديني والأذكار حول ضريحه، وكانت الاحتفالات تدوم لأيام قبل موعد المولد وبعده، مما استلزم على المحتفلين حمل ما يحتاجون من مأكل ومشرب وملبس وأدوات للطهي، والتخييم في الشوارع المحيطة بمقام الولي.. زحف الباعة الجائلون حول الأضرحة لخدمة المحتفلين «الرزق يحب الخفية»، فنشط باعة الأطعمة والأقمشة والأساور والحلي والأمشاط والملابس، وظهر حول كل ضريح مجتمع كامل من رواد وخدمات وبيع وشراء، حتى المقاهي أقيمت في ساحات الموالد.

بعد جلاء الفاطميين عن مصر ابتعدت الموالد نسبيًا عن الصبغة الدينية، وتسلل الفن بشكل تدريجي لساحات الموالد من خلال المقاهي، فظهر نافخو الأرغول، ورواة السِّيَر الشعبية، وبعض المطربات والراقصات، ومع الوقت ظهر البهلوانات، وصندوق الدنيا، والحواة.

كان التحول الأكبر في مظاهر الموالد ظهور عبد الله التركي.. التركي شاب أجرودي لا شَعر له، استثمر نعومة جسمه وبياض بشرته، واحترف الرقص الشرقي مرتديًا ملابس راقصات، وعندما زوج الخديوي إسماعيل أولاده الأربعة في زفاف اسطوري لم تشهد المحروسة مثله والمعروف تاريخيًا باسم «أفراح الأنجال».. رقص عبد الله التركي أربعين ليلة وليلة طول فترة الاحتفالات، فذاع اسمه بين المصريين، وأطلقوا عليه لقب «خوال»، وكانت له شهرة تناطح شهرة الحامولي والمظ وساكنة بك، مما شجَّعه على نقل نشاطه إلى ساحات الموالد.



جدَّد عبد الله التركى في شكل مظاهر الاحتفال في الموالد، وابتكر موكبًا لأهل الحِرَف، وهو موكب يسير خلف موكب قطب الطريقة الصوفية، ويتكون من عدة عربات تجرها الحمير، وكل عربة تمثل طائفة لحرفة من الحَرَف كالحلاقين والسقائين والنساجين والنجارين بالإضافة إلى عربات العوالم والغوازي والحواة والأرجوز والمراجيح وخيال الظل والأدباتية وبتوع رمز وفنانين القافية ولاعبي النقرزان.





كتب عبد المنعم شميس في كتابه «قهاوي الأدب والفن في القاهرة» أن علماء الحملة الفرنسية فرَّقوا بين العوالم والغوازي؛ فالعوالم يسلكن سلوكًا يتسم بالحشمة والغوازي لا يتسمن بأي حشمة، ولا يوحين إلا بالازدراء، ولا تقاليد ولا عفة لهن، ويصاحبهن شخص يسمى باسم «الخلبوص»، وهو مهرِّج يقوم بأوضاع بالغة الفحش وبحركات وقحة تواكب حركات الغازية، ويصاحبهن عازفين على الربابة والمزمار ويسمى الواحد منهم «غزواتي».



أما الأدباتي فهو زجال صعلوك موهوب قادر على السخرية والنقد والتجريح بأزجاله، وكان يقام تحدٍّ بين الأدباتية وسط تهليل وتشجيع الرواد، وأشهر أدباتي في تاريخ مصر هو خطيب الثورة العرابية «عبد الله النديم»، والقافيجية فنانون لديهم القدرة على وصف بعضهم بسخرية لاذعة، ودائمًا يستخدمون كلمة «إشمعنى» التي كان أصلها «إيش يعني» بمعنى «تقصد إيه»، وأشهر القافيجية حسين الفار وسلطان الجزار ..

- يحموك..
- إشمعنى؟
- في كنكة

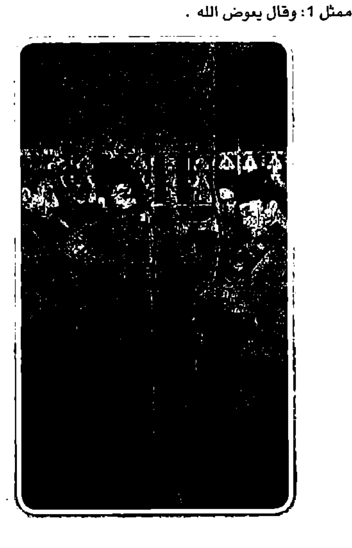
وكنكة في الفن القولي للقافية كناية على صِغر حجم الشخص الآخر،

وبتوع رمز بهلونات يشبهون عازفي البيانولا.. يجيدون لعب الأكروبات على الأرض، ويبارعون في حكي القصص التمثيلية الكوميدية القصيرة التي تشبه النكتة بعدد قليل من الكلمات.. رصد الكاتب عبد المنعم شميس بعض ما قالوا..

ممثل 1: مدير كوبانية الميه ركب على كل حنفية قربة.

ممثل 2: وشالها على ضهره.

ممثل 1: وقال يعوض الله .





مع الأيام ظهر لون جديد في الموالد.. ظهر السيرك على يد شاب رياضي اسمه "محمود صبري"، واضاف صبري للسيرك الألعاب الخطرة، والرقص الشرقي، والتمثيل الهزلي، وطاف بالسيرك الموالد في مصر بدائها بمولد السيد البدوي في طنطا ثم ظهر في القاهرة، وطاف الموالد في الأرياف.. شارك بالتمثيل الهزلي في «سيرك صبري» أحمد الفار والسيد قشطة وأحمد شفاتيرو، وكان كل واحد منهم يحمل لقب "اسطى"، واشهرهم كامل الأصلي "اللبناني جورج راضون"، وكان راضون متجددًا يجيد الفرنسية، ومتابعًا لكل ما هو جديد في العالم فيما يخص التمثيل الهزلي.







خشت المقاهي من ظهور السيرك، ومن سحب البساط من تحت أقدامها، فحشد أصحاب المقاهي عددًا كبيرًا من الموهبين في الغناء والرقص وعازفي المزمار والناي والأرغول، ورواة السِّيَر والمواويل، فنافسهم أصحاب ملاعب السيرك بحشد كل ما هو غريب ومثير وخفيف الدم، كالأقزام وأصحاب القامات غير المألوفة، ومقلدي الحيوانات، وأصحاب المواهب الغير كالذي يلضم الإبرة بقدمه، واشتركوا جميعًا في تمثيل أدوار في روايات مثل «الست اللي كلت دراع جوزها»، ثم ظهر سيرك سيد ياسين للأكروبات وأولاد عاكف، ومحمد قمبيز.

بعض الموالد اعتبرها المريدون عيدًا.. مارست فيها المقاهي والسيرك كل الفنون التي تجذب الرواد لسنوات طويلة، وفي مقدمة الموالد مولد الحسين والسيدة زينب والسيد البدوي والمرسي أبو العباس وسيدي شبل وأبو المعاطي والسيدة العذراء في بني سويف.






بعد مائتي عامًا من التطور في الموالد وفنونه.. عادت ساعات الزمن للخلف.. اختفت الفنون القولية كالقافية وبتوع رمز والأدباتية، واختفت الألعاب كالحواة والنقرزان، واختفت الفنون كخيال الظل وصندوق الدنيا، وأصبح للسيرك مكانٌ مستقلٌ، وأصبحت الساحة خالية للمشعوذين والدجالين وبتوع الـ 3 ورقات، وفتّح عينك تاكل ملبن.

كتيبة الإعدام

منذ اللحظة الأولى لاحتلال مصر، وبريطانيا تصرح أن تواجدها مرهونٌ باستقرار البلاد.. استقرت البلاد ولم تلتزم بريطانيا بتصريحها، واستمرت تسوّف وتؤجّل فكرة جلائها حتى يئس المصريون من التزام بريطانيا، فظهرت كتيبة الإعدام.



اللطائف المصورة

AL LATAIF AL MUSAWARA

فليحيى الوطن

فلتحيى مصر

فلتحيى الامة

المصرية الكريمة

فلتحيى الشبيبة المصرية

فلتحيى السيدات

المصريات

في لندن عام 1903 حكم قاضي بريطاني على شاب هندي اسمه «دنجرا» بالإعدام بتهمة اغتيال وزير بريطاني لمعارضته استقلال الهند، فصاح الشاب في وجه القاضي «أشكرك أيها

القاضي فقد أتحت لي أن أفدي بلادي بدمي».. تناقلت الصحافة ما قاله الشاب للقاضي، ووصل للطلبة المصريين في لندن عبارة الشاب الهندي، وكانت مصر والهند جزءًا من الإمبرطورية التي لا تغيب عنها الشمس. وثارت دماء الطلبة ومنهم طه العبد وحسن كامل الشيشيني، وألفوا جمعيتين سريتين الأولى باسم «جمعية أبي الهول»، والثانية باسم «جمعية الطلبة المصريين»، وانضموا للجمعيات السرية الهندية المناهضة للاحتلال البريطاني، والمتبنية فكرة الاغتيالات لإجبار بريطانيا على الجلاء.. بعد عودة الطلبة من الخارج اتحدوا في جمعية سرية أطلقوا عليها اسم «جماعة التضامن الأخوي»، وكان يشترط في عضوية هذه الجماعة أن يكون العضو جريئًا وأن يمر بسلسلة من الاختبارات، وبعد ذلك تعصب عينه، ويؤتى له بمصحف وسيف، ويقسم عليهما بأن يكون مخلصًا للجماعة، ومنفذًا للأوامر التي تصدر إليه من غير تردد أو مناقشة، وكان أبرز أعضاء الجماعة إبراهيم الورداني وشفيق منصور ومحمود عنايت وعلي مراد ومحمود أنيس وعبد الخالق عطية ومحمد نجيب الهلباوي وطه العبد وعبد الحميد العبد ويوسف العبد وحامد العبد.



وضع الفدائيون الأوائل قائمة سوداء فيها شخصيات سياسية تخدم أهداف الإنجليز في مصر.. منهم بطرس غالي رئيس محكمة دنشواي، والأمير حسين كامل رئيس الجمعية العمومية لقناة السويس. والمدهش وجود اسم سعد زغلول في القائمة السوداء لدعمه مشروع مد امتياز قناة السويس لبريطانيا، وهو ما تراجع عنه سعد زغلول فيما بعد، وكانت بداية الاغتيالات على يد عضو الجماعة إبراهيم الورداني..

غزال البر..



خرجت مظاهرة تضم أكثر من عشرة آلاف مصري تندد بالاستعمار وتنادي بالجلاء عام 1909، وكانت المظاهرة إعادة بعث حقيقي للحراك الشعبي بعد ثورة عرابي، وبعد فترة من الخمول الوطني بين صفوف الشعب، والمظاهرة في جوهرها كانت تحمل روح الزعيم الراحل مصطفى كامل.. قاد المظاهرة إبراهيم الورداني خريج كليات الصيدلة في إنجلترا وسويسرا، وبالقرب من قسم عابدين هجم المتظاهرون على مستر هارفي قائد البوليس المصري وأسقطوه من فوق حصانه.. شارك في المظاهرة المثّال المصري الأشهر «محمود مختار» الذي قُبضَ عليه وسُجنَ شهرًا، وتم حرمانه من التعليم والتوظيف، فسافر إلى إنجلترا لاستكمال تعليمه.

كان الورداني أحد الذين انضموا إلى الجمعيات السرية الهندية في إنجلترا، وفيها تعلّم صُنع القنابل واستخدام الأسلحة، وعندما عاد إلى مصر شارك في تأسيس «جمعية التضامن الأخوي» السرية، واتفق الورداني وشفيق منصور وعلي مراد وعبد الخالق عطية ومحمد كمال وحبيب حسن وعبد العزيز رفعت ومحمود أنيس وعبده البرقوقي على اغتيال بطرس باشا غالي، ونفّذوا ما اتفقوا عليه ظهر يوم (20 فبراير 1910)، وأطلقوا عليه ست رصاصات، ونقل بطرس غالي إلى المستشفى وتوفى في اليوم التالي متأثرًا بجراحه.. دوّن المحامي الشهير إبراهيم الهلباوي في مذكراته حوارًا بينه وبين موكّله إبراهيم الورداني في قضية

اغتيال بطرس باشا، وعن أسباب وجود اسم بطرس غالي في القائمة السوداء للأشخاص المراد اغتيالهم كما صرَّح له الورداني تتلخص في..

إن بطرس غالي عقدَ اتفاقية 1899 مع الإنجليز وفيها اشتراك الإنجليز جنبًا إلى جنب مع مصر في حكم السودان.

وأنه خدم الإنجليز برئاسته لمحكمة دنشواي الشهيرة.

وإصداره لقانون المطبوعات 1909.

ومحاولته مد امتياز قناة السويس أربعين سنة أخرى لبريطانيا.

ولهذه الأسباب قال الورادني لمحاميه: «إن الرجل خائن لوطنه وأن سياسته ضارة بالبلاد»، وهو ما كرره الورداني أمام هيئة المحكمة.

لم يهرب الورداني عقب إطلاقه النار على الباشا، بل وقف مكانه حتى يتم القبض عليه، وهنا سأله محاميه عن أسباب عدم هروبه رغم وجود فرصة للهروب، ردَّ الورداني: «نعم .. شاهدت الإغماء – يقصد الصدمة والمفاجأة بعد إطلاق النار – عند القوم، والرغبة الطبيعية المجبول عليها كل إنسان في التخلص من الخطر أوحت إليَّ ان افر في الحال، ولكن ما أسرع ما مرت على فكرة أخرى أوقفتني، وهي اني تذكرت إذا فررت من يد القضاء أنه يجهل سبب الجريمة، وربما تحدث الناس بأن القاتل كان ذا غرض شخصي جره إلى ارتكاب الجريمة، فيذهب الأثر المطلوب».. لهذا لم يهرب الورداني من مسرح الجريمة، وتحولت محاكمته إلى محاكمة سياسة بطرس غالي، ويكتمل المشهد الذي أراده الورداني بعد أن برئ جميع شركائه.

استخدم اللورد كرومر سياسته «فَرِّق تَسُد»، وحاول استثمار الحادث لإحداث شرخ بين عنصري الأمة، وإخراج المشهد بصورة توحي بتعصب المسلمين تجاه المسيحيين، وكان أبلغ رد على سياسته رد المحامي ناصف أفندي جنيدي: «إننا جميعًا قد ضاقت صدورنا من السياسة المنحازة للإنجليز التي كان يدافع عنها بطرس باشا، وإنني لأصرح بصفتي مصريًا قبطيًا إن حركتنا إنما هي حركة وطنية ترمي إلى الحرية».

فشلت محاولات المحامي أحمد بك لطفي في إثبات أن سبب وفاة الباشا خطأ طبي أثناء عملية إنقاذ حياته، وفشلت دموع المحامي إبراهيم الهلباوي في التأثير على هيئة المحكمة بإقناعها أن الشاب وطني وصاحب سُمعة طيبة.. دموع المحامي الهلباوي لم تغسل خطايا الورداني لكنها غسلت خطاياه وسُمعته هو، والتي لوثتها مشاركته في سيناريو حادث دنشواي.

من أهم ما جاء في دفاع الهلباوي: «إن بطرس باشا يا حضرات المستشارين دخل الحكومة المصرية موظفًا بأربعة جنيهات، وخدمها أربعين سنة.. فلو انه كان يتناول كل سنة ألفًا من الجنيهات، وكان صمدًا لا يأكل ولا يشرب لما استطاع أن يترك أكثر من أربعين ألفًا من الجنيهات لكن تركة بطرس غالي يا حضرات المستشارين قومت بأكثر من مليون من الجنيهات! .. فمن أين جاء بالمال الوفير؟»..

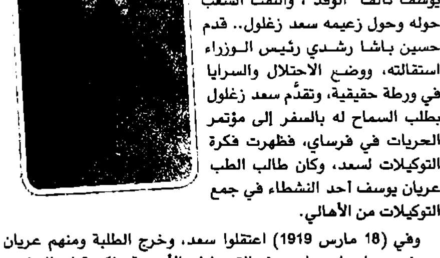
ثم التفت إلى إبراهيم الورداني وقال له: معذور يا إبراهيم.

عند ذلك صرخ رئيس الجلسة مستر دلبروغو الأرمني: «كيف تقول هذا في جلسة علنية»، ثم نادى بجعل الجلسة سرية، واستمرت سرية طوال فترة مرافعة الهلباوي، وعند ختامها عادت علنية.

اذهب يا ولدي إلى واحة ربك، حيث العدالة الخالصة المجردة من الزمان والمكان.. اذهب فقلوبنا ستكون دائمًا معك، وعيوننا ستسحّ عليك الدمع ما دامت الأرض والسموات.

بهذه الكلمات البليغة ودعَّ المحامى موكّله لمصيره الذي انتهى بحكم الإعدام، ونُفِّذ الحكم في 28 يونيو 1910، وكانت اخر كلماته "الله اكبر الذي يمنح الحرية والإستقلال.. اشهد أن لا إله إلا الله، وأن الموت في سبيل الوطن آية من آيات الله".. منعت السُّلطات تشييع جنازته، ومنعت ترديد اسمه وتداول صورته، فأطلق عليه الشعب لقب "غزال البر"، وغنوا له صباح يوم إعدامه "قولوا لعين الشمس ماتحماش.. أحسن حبيب القلب صابح ماشي".

الثائر رقم١..



ولد عريان يوسف سعد في ميت غمر عام 1898 ، وتعلم في مدارسها حتى نال البكالوريا، وانتقل إلى القاهرة للالتحاق بكلية الطب عام 1918، وكانت القاهرة في حالة غليان بعد إعلان الحماية البريطانية على مصر.. انتشرت الحركات السرية، وكثرت محاولات الاغتيال، وفي نفس عام وصول عريان يوسف تألف "الوفد"، والتفت الشعب حوله وحول زعيمه سعد زغلول.. قدم حسين باشا رشدي رئيس الوزراء استقالته، ووضع الاحتلال والسرايا في ورطة حقيقية، وتقدَّم سعد زغلول بطلب السماح له بالسفر إلى مؤتمر الحريات في فرساي، فظهرت فكرة التوكيلات لسعد، وكان طالب الطب عريان يوسف أحد النشطاء في جمع التوكيلات من الأهالي.

وفي (18 مارس 1919) اعتقلوا سعد، وخرج الطلبة ومنهم عريان يوسف يسجلون احتجاجهم في القنصليات الأجنبية، ولكن قوات البوليس حاصرتهم، وقادتهم إلى قسم السيدة زينب، وكان الناس يتساءلون عن سبب القبض عليهم، وما إن علموا بالسبب حتى انضموا إليهم، واشتعلت الثورة.

في تحدٍّ للشعب وثورته وزعيمه فوجئ الجميع بقبول "يوسف وَهْبَة باشا" للوزارة رغم رفض الساسة لها، وبحكم كونه مسيحيًا حذره "البطريرك" من قبول الوزارة وشق الصف، وقام القساوسة بمظاهرات هتفوا فيها بسقوط يوسف وهبة.. قررت "جمعية اليد السوداء" اغتيال

يوسف باشا وَهْبَة، وكان عريان يوسف سبق له الانضمام لجمعية اليد السوداء بعدما قدَّم لهم طلبًا على ورقة مرسوم عليها خنجر أسود، وقبلوه لحسن سمعته ولوطنيته، وتطوع لاغتيال الباشا وقال لزملائه: إنني أتطوع لذلك لأنني قبطي مثله حتى لا تقوم فتنة طائفية مثل فتنة بطرس غالي والورداني، وسأسلم نفسي حتى يعرف الجميع أن قاتله قبطي مثله.

اعترض عريان يوسف طريق سيارة رئيس الوزراء، فتوقف الموكب عن السير، وأخرج من جيبه قنبلة ألقاها على السيارة، ولكن السائق تنبه وانحرف بعيدًا عن القنبلة، وألقى القنبلة الثانية فتحطمت مقدمة السيارة، ولم يصب رئيس الوزراء، وقبل أن يجرب عريان حظه في إطلاق النار قبضَ عليه حرس الرئيس، وساقوه إلى مكتب يوسف وَهْبَة الذي إستجوبه..

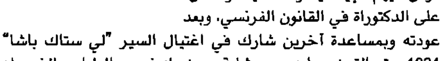
- لماذا تريد أن تقتلني؟
- لأنك تعادي الوطنية وتقف ضد إرادة الشعب.
- ومن أدراك أنني أعادي الوطنية؟
- لأن صُحف الإنجليز كتبت أنك متفق معهم في الرأي، وأنك ستعمل لتحقيق الأماني الإنجليزية وهي لا تتحقق إلا على حطام مصلحة مصر.
- "لحرسه" يحاكم أمام محكمة عسكرية إنجليزية.

اربع سنوات ونصف قضاها في السجن من أصل عشر سنوات أشغال شاقة كان محكومًا عليه بها، وأفرج عنه..

بعد خروجه من السجن هجر كلية الطب لكن زملاءه كانوا قد تخرجوا وأصبحوا أطباء.. عانى التشرد والبطالة والجوع، وفي هذه الفترة حاول مستر "إنجرام" المشرف على التحقيق في قضايا الاغتيالات أن يغريه بالمال، وعرض عليه أي مبلغ يرضاه ابتداء من ستين ألف جنيه للاعتراف على أحمد ماهر والنقراشي وحسن الشيشيني شركائه في جمعية اليد السوداء.. رفض عريان، وهدده إنجرام بعودته إلى السجن لاستكمال

مدة حبسه، ثم تركه على أمل أن يفكر في العرض وفي التهديد.. لكنه أصرَّ على الرفض، وتربصوا به لإعادته إلى السجن، فهرب، ولم يظهر إلا بعد العفو العام على السياسيين.

سيادة النائب..



شفيق منصور ابن المستشار منصور إسماعيل.. حصل على ليسانس الحقوق من جامعة ليون، وعندما عاد إلى مصر اشتغل بالمحاماه، وانتخب نائبًا في البرلمان عن دائرة باب الشعرية، وكان من المتحمسين لقضايا الوطن والحرية، فلما قامت الحرب العالمية الأولى اعتقلته السلطات الإنجليزية ونفته إلى جزيرة مالطة لمدة خمس سنوات.. درس فيهم الإيطالية والألمانية، وحصل على الدكتوراة في القانون الفرنسي، وبعد عودته وبمساعدة آخرين شارك في اغتيال السير "لي ستاك باشا" 1924، وتم القبض عليه بعد وشاية من زميله نجيب الهلباوي الذي باع زملاءه بعشرة آلاف جنيه ولقبته الصحافة بلقب "شاهد الملك" ومنها اشتق المفهوم القانوني "شاهد ملك".. رفض شفيق منصور أن يشارك نجيب الهلباوي خيانته وأن يصبح هو الآخر شاهد الملك، وظل في السجن عامًا كاملًا نال فيه أقسى أنواع التعذيب والتنكيل، وكان متنفسه الوحيد من التعذيب هو الإضراب عن الطعام والإضراب عند ارتداء الملابس، فكان يصرخ عاريًا، والدماء تسيل من ظهره وصدره من أثر الضرب بالسياط.

فشلت مرافعة أحمد لطفي السيد التي استمرت خمسة أيام أن تثني هيئة المحكمة من إعلان الحكم المتخذ مسبقًا على شفيق وزملائه بالإعدام.. وسلموا رقبة شفيق منصور إلى حبل المشنقة وهو يهتف بالحرية لمصر "تحيا مصر حرة"، وأصيب أبوه بصدمة نفسية مات على

اثرها، وحددت السلطات الإنجليزية إقامة الأم والأخت في منزل الأسرة لا تزوران ولا تزاران.

مؤامرة شبرا ..



كلفت "جماعة التضامن الأخوي" إمام عبد اللطيف واكد ومحمود طاهر العربي ومحمد عبد السلام والمحرر مصطفى كامل باغتيال الخديوي عباس حلمي الثاني واللورد كتشنر ورئيس الوزراء محمد سعيد باشا، وكانت محاولتهم في اغتيال اللورد كتشنر فاشلة حيث حاول طاهر العربى اغتيال اللورد في ساحة محطة القطار أثناء سفره إلى الإسكندرية، وقبل الضغط على الزناد رآه "ياور" المندوب السامي، فهرب طاهر من المحطة.. كان مصطفى كامل محرر جريدة اللواء وزوج ابنة شقيقة الزعيم الكبير على عكس وطنية الجريدة التي عمل بها محررًا والأسرة التي ناسبها.. خان زملاءه واتصل بمأمور الضبط جورج فيليبدس، وأبلغه بكافة تفاصيل تكليف الجماعة السرية، وأبلغهم أن كلًا من واكد وطاهر وعبد السلام كتبوا رسائل إلى زوجاتهم يبررون لهن اشتراكهم في سلسلة الاغتيالات.. طلبت إدارة الأمن العام من مصطفى كامل أن يقود زملاءه إلى قهوة في شبرا، وأن يطرح عليهم أسئلة معينة لمعرفة مكان الرسائل دون أن يشكوا في أمره، واجتمعوا على قهوة شبرا ..

مصطفى كامل: أين وضعتم الأوراق؟

واكد: وضعناها عند محمد الصباحي.

مصطفى كامل: وأين وضعها الصباحي؟

واكد: دفناها تحت شجرة موز في الحديقة الداخلية لمنزله، وعلى

مسافة عشر خطوات من الباب .

بعد اجتماع مصطفى كامل بزملائه في القهوة انصرفوا جميعًا، واستقلوا ترام شبرًا، وعلى بُعد خطوات أوقف رجال الأمن الترام، والقوا القبض على إمام واكد ومحمود طاهر ومحمد عبد السلام، وسمحوا لمصطفى كامل بالهروب، وأصبحت القضية قضية رأي عام أطلقت عليها الصحافة الوطنية لقب "مؤامرة شبرا" واعتبرتها قضية ملفقة من عمل البوليس، وأطلقت عليها الصحافة الموالية للإنجليز "قضية واكد".

صباح اليوم التالي للقبض على واكد ورفاقه، كان محمد الصباحي في محطة طنطا يريد العودة إلى قريته مصطاوي، والتقاه الأستاذ مصطفى الشوربجي - وزير العدل فيما بعد - فناداه وقال له: لقد سمعت بأن البوليس يسعى في القبض عليك.. لا تنكر مجيء أمام واكد إليك ومزق كل الأوراق التي بحوزتك.

وما كاد يصل إلى بيته حتى وجدَ رجال الأمن يملأون المكان، وفي مقدمتهم المسيو كارتبيه رئيس البوليس السري، والمسيو رندا والبكباشي محمود محمد وكيل مأمور الضبط، ولم يسفر التفتيش في غرف المنزل، وفي حديقته عن اي أوراق، وغادروا بعد أن قبضوا على محمد الصباحي، وفي قسم الأزبكية سلموا الصباحي إلى جورج فيلبيدس الذي صاح فيهم: كيف تضعون الحديد في يده.. انزعوه حالا.. هل فطرت؟

الصباحي: لا

فيلبيدس: هات يا جدع مربى وبيض وشاي وفطور عظيم .

وبعد أن تناول الصباحي الفطور قال جورج فيلبيدس: اسمع هذه القضية هي حياتي.. لو استطعت أن أقدم الأوراق أصبحت في مركز لا يطوله أحد، وإني أضع تحت يدك الآن عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية، وأعدك برتبة البكاوية، وإنى أطلب إليك أن تلقي بهذه الأوراق

في أية جهة ونحن نأخذها.. هذه هي مأموريتك.

الصباحي: كيف آتيك بالأوراق وأنا محبوس.

فيليبدس: لا.. أنت مفرج عنك.. وتفضل وأنا في انتظارك خلال ثلاثة أيام.

خرج الصباحي ولم يعد بعد ثلاثة أيام، ولكنه عاد مقبوضًا عليه، ولعدم كفاية الأدلة ضده أفرجوا عنه، وحكمت المحكمة على إمام واكد ومحمد عبد السلام ومحمود طاهر العربي بالسجن خمسة عشر عامًا.

أين اختفت الأوراق؟؟؟

عندما أخفاها واكد والصباحي تحت شجرة الموز في الحديقة الداخلية.. شاهدتهما زوجة محمد الصباحي التي كانت تطل من النافذة، وعندما انتهيا من عملية دفن الأوراق وانصرفا.. نزلت وأخرجت الأوراق من الأرض، وأثناء تفتيش المنزل كانت تنتقل من غرفة إلى أخرى وفي صدرها الوثائق الهامة، وبذلك لم يعثر عليها البوليس.. فضول الزوجة أنقذ الزوج.

الجزمجي المناضل..



كانت للطبقة العاملة تواجد كبير بجانب الطلبة في ثورة 19، وكثيرًا ما تعاونوا معًا عندما تلاقت الأفكار والأهداف، ومن الطبقة العاملة برز

الحاج محمد عثمان الطوبجي وأحمد جاد الله، وإبراهيم موسى وعلي إبراهيم، وانضم لهم الطلبة: "عبد الحي كيره وكامل أحمد ثابت وحافظ عمار"، وكانوا يجتمعون في محل أحذية الطوبجي كزبائن للمحل، وفيما بعد أصدروا "جريدة المصري الحر"، وكانت تحتوي على أهم القضايا الوطنية ومنشورات الوطنيين، وتحمَّل الطوبجي مسئولية توزيعها إلى جانب تزويده للفدائيين بالأسلحة والقنابل.

ألقت السُّلطات القبض على عشرات الوطنيين في قضية المؤامرة الكبرى، وبسبب التلاعب في التحقيقات أضرب هؤلاء الوطنيون خمسة أيام متتالية، فأصدرت السلطات أوامرها بالإفراج عنهم مع تحديد إقامتهم في منازلهم لحين الانتهاء من التحقيقات، وكان من المفرج عنهم كامل أحمد ثابت - رئيس محكمة الجنايات فيما بعد - الذي استطاع إغفال الحراسة أمام منزله وهرب، وكان الطوبجي من سهَّل له الهروب والاختفاء داخل مصر مدة اثني عشر شهرًا، وهرَّبه إلى خارج مصر بجواز سفر مزيف.

سقط الطوبجي في يد البوليس مرتين.. الأولى عام 1923 بتهمة إلقاء القنابل على معسكرات الإنجليز، ولم تثبت إدانته، والثانية عام 1924 على خلفية مقتل السير لي ستاك، وفيها عرض عليه أنجرام بك التعاون مع السلطات مقابل مكافأة قدرها 10 آلاف جنيه، والسفر بأسرته إلى إنجلترا، ودار بينهما هذا الحوار السريع:

إنجرام: لا تخف من شيء.. ستسافر أنت وزوجتك وأولادك وتعيشون هناك في أمن وسلام .

الطوبجي: اسمع.. إنني رجل فقير لا أكاد أملك شيئًا، ولكنك لو عرضت على خزائن بريطانيا كلها ما خنت وطني.

الساحر العظيم..



عاد من الأستانة أوائل الحرب العالمية الأولى بعد أن درسَ الطب، وعندما أعلنت الحماية البريطانية على مصر أواخر عام 1914، ونصب حسين كامل سلطان على مصر.. شارك بطل حكايتنا محمد شكري الكرداوي ابن عمته محمد خليل أفندي إطلاق النار على السلطان حسين كامل، ولم يصيبوه، وأعدم محمد خليل شنقًا، وخرج شكري من القضية لعدم كفاية الأدلة ضده.

في سنوات الحرب العالمية لم تخلُ قائمة للاعتقالات السياسية من اسمه، وقضى ثلاث سنوات من عمره متنقلًا بين سجون الاستئناف والحدراء والتخشيبة وطرة ودرب الجماميز والجيزة حتى أفرَج عنه في أكتوبر 1917، وأثناء ثورة 19 ألف محمد سعيد باشا الوزارة، وتعرَّض رئيس الوزراء لحادث اعتداء في محطة الرمل سبتمبر 1919، وبالقبض على الشاب الأزهري الذي ألقى على رئيس الوزراء القنبلة.. اعترف أن محرضه على هذا شاب من المنصورة يدعى محمد شكري الكرداوي، وأنه ترك له القنابل في مراحيض كازينو سان استفانو.

لم يعثر البوليس على شكري؛ فقد اختفى نهائيًا عن الأعين، وأعلنت الداخلية مكافأة قدرها 500 جنيه لمن يقبض عليه أو يساعد بمعلومات تساهم في القبض عليه، ونشرت خبر المكافأة صحف مصر وسوريا وفلسطين والحجاز والعراق، ووزعت صوره في أنحاء البلاد، وعلقت على أبواب مراكز البوليس، وسجل العمد والمشايخ أوصافه في دفاترهم، وصدر ضده حكم غيابيٌّ بالأشغال الشاقة خمسة عشر عامًا.

بعد غيبة تجاوزت 55 شهرًا صَدُرَ عفوٌ عام على المسجونين السياسيين عام 1924، وظهر شكري من جديد بين الناس، وصرَّح

لأصدقائه انه كان يتنقل بين القاهرة وأسيوط متنكرًا في شخصية شيخ مبروك وساحر عظيم.. ساعده على هذا التنكر ذكاؤه وسعة حيلته التي جعلت البسطاء ينخدعون في شخصيته.

بُعبُع الإنجليز..



عانى "كيره" كثيرًا من زملائه أبناء وطنه في مدرسة الطب، ولم يجرؤ على الدفاع عن نفسه، وتبرئة ساحته من وصف الخيانة، كان يتعرض للضرب والتحقير والسب، ووصفوه بلقب "ابن اللنبي" و"ابن الإمبراطورية البريطانية".. تحمل كثيرًا ليخفي دوره الخطير في التنظيم السري للوطنيين..

عندما أضرب الطلبة في مدرسة الطب عن الدراسة تضامُنا مع ثورة الشعب عام 1919 فشلت كل المحاولات لإثنائهم عن الإضراب والانتظام في الدراسة واستمر الإضراب، وكان كيره على عكسهم.. كسر الإضراب وانتظم في الدراسة، مما شجَّع الدكتور "كتنتج" مدير مدرسة الطب على أن يمنح "كيره" حرية التنقل في أقسام ومعامل المدرسة في أي وقت.

أثناء التحقيقات في قضية مقتل السير لي ستاك.. انكشف للجميع الدور الهام الذي لعبه "كيره" في التنظيم السّري، والذي ساعده على القيام به تصريح دكتور كيتنج.. كان "كيره" مسئول تهريب بعض المواد الكيميائية من معمل المدرسة، والتي كانت

تدخل في تصنيع القنابل، وكان يسلمها بدوره إلى الطالب أحمد ماهر "رئيس الوزراء لاحقًا".. أهمية مهمته كانت تجبره على تحمُّل الإهانة من زملاء له، واتهامهم له بالتخاذل والخيانة.. بعد انكشاف الستار عن دور "كيره".. أصدرت المخابرات البريطانية بيانًا لجميع مكاتبها في العالم، والذي نَص على "اقبضوا عليه حيًا أو ميتًا.. اسمه أحمد عبد الحي كيره.. كيميائي.. كان طالبًا في مدرسة الطب.. خطير في الاغتيالات السياسية.. قمحي، ومتوسط القامة، وعمره 28 عامًا".

بمساعدة التنظيم السِّري لثورة 19 هرب كيره بجواز سفر مزيف إلى ليبيا، ومنها إلى أسطنبول.. في عام 1930 قابله الأديب يحيى حقي الذي كان وقتها موظفًا بالقنصلية المصرية، وكتب عنه "بعبع الإنجليز الذي يبحثون عنه بعد أن فتلوا له حبل المشنقة.. كنت لا القاه إلا صدفة وألح عليه أن نأكل معًا فيعتذر قائلًا: "قريبًا إن شاء الله"، وظل هذا حالي معه أربع سنوات كلما أدعوه يعتذر بأدب، وقد رأيت فيه المثل الفذ للرجل الشريد.. كانت ملابسه تدل على مقاومة عنيدة للفاقة، وغلبت صفرته التحتانية على لونه.. يمشي على عجل، ويحذر كأنه يحاول أن يفلت من جاسوس يتبعه، ويخلو كلامه من أي عاطفة، فلا تدري إن كان متعبًا أم غير متعب.. جيبه نظيف أم دافئ؟، ومعدته خاوية أم عامرة؟" وكتب أيضًا: "حاولت أن أعرف أين يسكن فلم أنجح وقيل لي إنه يسكن في ثلاث شقق كل منها في حيٍّ بعيدٍ عن الآخر ولا ينام في فراش واحد ليلتين.. إنه يعلم أن المخابرات البريطانية لن تكف عن طلبه حتى لو فرَّ إلى أقصى الأرض، إنها لا تنسى ما فعله".

بعد توقيع معاهد 1936 سافر ثلاثة من عملاء الإنجليز في مصر إلى تركيا، وهم: "جريفز، وماركو، وإسكندر بورجوزافو"، وهناك استطاعوا استدراج كيره إلى منطقة نائية، واغتالوه، ومثلوا بجثته، وتركوه للطيور الجارحة، وعادوا فخورين باغتيالهم لشخصٍ كل تهمته أنه أحبَّ وطنه.

الضابط البحري..

انضم الضابط البحري محمود إسماعيل لجمعية سرية كوَّنها شفيق منصور بعد عودته من المنفى 1922، واتسعت أعمال الجمعية السرية، وتخطت حدود تفجير المعسكرات الإنجليزية في مصر، وكان لها نشاط في العراق حيث ساهمت في تفجير معسكرات الإنجليز هناك، وأهَّلت عددًا من الفدائيين العراقيين لاستكمال المقاومة المسلَّحة، كما شارك محمود إسماعيل في تفجير المدمَّرة الإنجليزية "سويفت شور" في البحر الأحمر.

اتحدت الجمعية مع جمعية اليد السوداء، وكان أبرز أعضائها النقراشي وأحمد ماهر وحسن كامل الشيشيني، وكانت أول أعمالهم منشورًا وزّعوه على أعضاء البرلمان وفيه "لا تنسوا أن السواعد القوية المفتولة التي أردت – قتلت – كيف وبراون وغيرهما، لا تزال على استعداد لأن تقصيكم عن مراكزكم إذا فرطتم في شيء من حقوق البلاد".

وفي عام 1924 شارك الضابط البحري في اغتيال "السير لي ستاك"، وتم القبض عليه. ونكّلوا به في المعتقل وأهانوه، وكان ممن حُكِم عليه بالإعدام.. وأمام حبل المشنقة رفع صوته قائلا: "أنا وابني فداء لمصر".

الفدائي الأول..

وقف عبد الفتاح عنايت على باب محطة السكة الحديد بالقرب من ميدان رمسيس وقت المغرب، وعندما خرج جندي إنجليزي تبدو عليه الغطرسة أخرج عبد الفتاح عنايت منديلا من جيبه وأعطى إشارة إلى شقيقه الأصغر عبد الحميد عنايت الواقف في منتصف المسافة بين عبد الفتاح وإبراهيم موسى، والذي بدوره أعطى إشارة إلى إبراهيم موسى رئيس عمال العنابر في مصلحة السكة الحديد لتنفيذ عملية الاغتيال، وكان إبراهيم واقفا ومسدسه في جيبه، فأخرجه وأطلق رصاصتين على الجندى الإنجليزي وقتله، وأسرع ووضع مسدسه في جيبه، وأخرج مسبحته، وسار وكان الأمر لا يعنيه، وكانت هذه أول عملية اغتيال في صفوف الجنود الإنجليز.

وكانت العملية الثانية لنفس الفريق مستر براون مستشار المعارف الإنجليزي والديكتاتور فيها، وهذه المرة وضع إبراهيم موسى مسدسه داخل رغيف خبز، وبعد التنفيذ سار في الشارع يأكل رغيفه من أطرافه.. ثم شارك الثلاثي في عملية اغتيال السير لي ستاك 1924، وأعدم كلا من إبراهيم موسى والشاب عبد الحميد عنايت مع آخرين، وتم تخفيف حكم الإعدام على عبد الفتاح بعد مظاهرات حاشدة شهدتها القاهرة رفضت تنفيذ حكم الإعدام في شقيقين في نفس القضية، وسبق أن مات شقيقهم الأكبر محمود عنايت في السجن بعد محاولته إغتيال السلطان حسين كامل.

أثناء إعدام إبراهيم موسى، وقبل أن ينطق الشهادتين قال: "لا تنسوا أن تدفعوا لصاحب المخبز دَيني له ثمنًا للخبز الذي كنت آكله".. عانت أسرة إبراهيم موسى من الحرمان والتنكيل بسبب مشاركته في الاغتيالات السياسية، كما عانت كل أسر الفدائيين الأوائل.. ووصل الحال بابنه جمال أن استبدل اسمه باسم آخر حتى يجد عملا.

ليلة القبض على ..



ارتبط اسم الشيخ المنفلوطي مؤلف العبرات والنظرات ومترجم ماجدولين بقضية أدبية وسياسية هامة.. دونت في التاريخ باسم «قضية السفهاء».. تجري أحداثها عام 1897، وبداية فصولها عندما نشر «أحمد أفندى فؤاد» صاحب مجلة «الصاعقة» قصيدة مجهولة الكاتب بمناسبة عودة الخديوي عباس حلمي الثاني من الإسكندرية إلى القاهرة، وكان من عادة الخديوي أن تنتقل معه كافة الوزارات.. تستقر صيفًا في الإسكندرية، وتعود شتاء إلى القاهرة مصاحبة الخديوي.. في الصفحة الأولى لمجلة الصاعقة عدد 3 نوفمبر 1897 نشر أحمد افندي فؤاد..

تهنئة مرفوعة إلى عباس حلمي بمناسبة عودته إلى القاهرة..

عيد «قدوم» ولكن لا أقول سعيد	وملك وإن طال المدى سيبيد
يذكرنا مرآك أيام أنزلت	علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا	سهام بلاء وقعهن شديد

فلمـــاتوليتـــمطغيتموهـــكذا إذا أصبح القولـي وهـو عميد
أعباس ترجو أن تكون خليفة !! كمـا ود آبــاء ورام جـدود
فياليت دنيــانا تـزول وليتنا نكون ببطن الأرض حين تسود

في كتاب «مذكرات الأميرة جويدان هانم» زوجة الخديوي عباس حلمي الثاني.. ذكر أن قيامة القصر قامت بهذه القصيدة، وأصدر ناظر الحقانية أمرًا للنيابة بالقبض على صاحب الجريدة والتحقيق معه، وفي مذكرات أحمد باشا شفيق «الجزء الثاني» أن القضية شملت تهمة العيب في الذات الخديوية..



قبض على أحمد افندي فؤاد الذي اعترف أنه كاتب القصيدة، ثم تراجع فؤاد عن أقواله وذكرَ أن كاتب القصيدة هو الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد.. تراجع فؤاد عن أقواله ونسبه القصيدة للشيخ علي يوسف فيه سخرية شديدة من السرايا؛ لأن الشيخ يوسف كان رجل الخديوي في الصحافة والمشمول برعايته، وجريدته كانت صوته.

أمر وكيل النيابة باستدعاء السيد يوسف سليمان صاحب المطبعة التي تولت طباعة العدد، وبسؤاله عن القصيدة قال إن أحمد افندي فؤاد زاره وأعطاه القصيدة وكان معه الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي، فأصدر وكيل النيابة أمرًا بالقبض على المنفلوطي.

تناولت الصحف وخاصة الموالية للسرايا أحداث القضية ومستجداتها، وأطلقت عليها «قضية السفهاء» إشارة منها إلى حماقة ما ارتكبه صاحب الصاعقة والمنفلوطي، وجودت الصحف على الهجوم، وكلفت بعض الشعراء بالرد على المنفلوطي شعرًا لرد كرامة الخديوي..

ردَّ الشيخ عثمان الموصلي:

قـدوم لا أقـول سعيد على فـاجـر هجو المـلـوك يريد.

ورد أحمد شوقي شاعر الأمراء..

قـــدوم ولـكـن أقـــول سـعـد   وملك وإن طال المدى سيزيد

الحملة الصحفية أتت بنتيجة عكسية.. انتشرت قصيدة المنفلوطي في ربوع مصر، وتداولتها الأيادي، ونسخها الأطفال بخط اليد وباعوها في الطرقات.. تداول القصائد وبيعها للعامة واقعة مثيرة لم تتكرر إلا مع قصيدة «في المجلس البلدي» لشاعر العامية بيرم التونسي.

ظن الخديوى أن فعلة المنفلوطي وفؤاد وراءها دعمٌ ما من الشيخ البكرى الذي سبق وأقيل من نقابة الأشراف لتقربه من السلطان العثماني، وفي مواجهة بينهما انتهت بإهانة الشيخ البكري من الخديوي «انت قليل الأدب» .. ردّ عليه البكري «من جدى ومن جدك؟» إشارة منه إلى جذوره الممتدة للرسول، وممتدة إلى عمر مكرم صاحب الفضل الأول في تولي محمد علي باشا جد الخديوى عباس حكم مصر.. تدخل كرومر كيدًا في الخديوي وحمى الشيخ البكرى من بطش الخديوي.

ذهب المؤرخ يونان لبيب رزق بالقضية إلى أنها فصلٌ من فصول الصراع بين سراي عابدين وقصر الدوبارة حيث مقر المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر.. ربما فيها فرعٌ من فصل وهو الشيخ البكري لكن – أرى – الأصل في القضية صراعًا بين قصر عابدين والشارع المصرى حيث المنفلوطي وأحمد أفندي فؤاد، وهو ما سيوضحه فؤاد نفسه أثناء دفاعه عن نفسه..

قدم المنفلوطي وأحمد فؤاد ويوسف سليمان للمحاكمة، وأحس فؤاد أن النية مبيتة لحبسهم، وأن أي دفاع لن يجدي، فقرر الهجوم على العائلة الحاكمة، ومما قاله أحمد "الصاعقة"، وذكرَ في مذكرات جويدان هانم:

"إن الرعية لم تسر بقدوم الخديوي، وإن محبة الرعية لمليكها أمرٌ اختياريٌ، وما من ملك إلا وله من لا يسر بقدومه، والملك لا يستطيع إرغام رعيته على محبته.. وأنه ليس أول من جاهر وأعلن للناس مظالم الخديوي، فإن أحدًا لا ينسى قصة مدفع سعيد التي نشرتها صحف مصر في وقتها، فقد استورد الجيش مدفعًا جديدًا من فرنسا، وطلب الوالى سعيد باشا تجربة المدفع في أحد الميادين العامة، ونقل المدفع إلى أحد الميادين حيث أمر بإطلاقه، فاقترب منه أحد رجال الحاشية

ال له: هل يأمر افندينا أن نتمهل قليلًا حتى يمر الناس؟

فكان ردّ سعيد باشا: ليس عندي وقت .. اطلق فنحن لم نستلم الناس عدد.

استرسل أحمد الصاعقة في دفاعه وهجومه على أسرة محمد علي، كر قتل الخديوى إسماعيل وزيره إسماعيل صديق المفتش، وطريقة تل البشعة.. كما تحدث عن الخديوي إسماعيل حينما أراد أن يجمع لا فصنع شارات من الجوخ "نوع من قماش الصوف"، ووزعها على ياء طنطا مقابل خمسمائة جنيه للشارة.. ختم الصاعقة دفاعه بأن لاعنين في ملوك أوربًا لا يحاكمون بل يعفى عنهم.

صدر الحكم بالإفراج عن صاحب المطبعة، وحبس احمد افندي اد صاحب المجلة لمدة عشرين شهرًا مع الغرامة، وحبس الشيخ صطفى لطفي المنفلوطي سنة مع الغرامة.

***



اختزلنا سيرته في اسم أشهر ميادين قاهرة" ميدان أحمد حلمي".. حيث زحام، ومواقف السرفيس، والباعة بائلين، والمحكمة، ومحطة القطار.. سيرته فقط خلت منها مناهج التربية تعليم كما خلت من عشرات الرواد في اتنا .. أيها السادة إنه أحمد حلمي، نى.

عندما أصدر الزعيم مصطفى كامل يدة اللواء في (2 يناير 1900) ضم لهيئة ريرها الكاتب والأديب والشاعر أحمد حلمي، ودعمه: "أريد أن أجعل ك أول صحافي في مصر، فأنت مثال الناشئة المصرية الجديدة"، د الزعيم وأوفى، وأصبح حلمي الرجل الثاني في الجريدة .في يونية 19 سافر حلمي إلى دنشواي لينقل للعالم الحقيقة البشعة للاستعمار

البريطاني ويسقط عنه القناع، وكتب في حادث دنشواي، وهو شاهد عيان مقالته الشهيرة "يا دافع البلاء" والتي اعتمد عليها مصطفى كامل في مساعيه لعزل اللورد كرومر.. وتناولها العقاد في مقالاته: "لا تعرف فزعًا شمل القُطر المصري من أقصاه إلى أقصاه كالفزع الذي شمله يوم قرأ الناس أخبار هذه الفاجعة ونشرتها اللواء بعنوان "يادافع البلاء» ..



توفى مصطفى كامل في فبراير 1908، وتدخلت عائلته في سياسة الجريدة فحادت عن نضالها وكفاحها، فاستخرج حلمي رخصة لمجلة "القطر المصري" التي تبنت القومية المصرية وطالبت بعدم الاعتماد على دولة أجنبية ولا على نفوذ العائلة الخديوية وإنما على مصر وشعبها فقط، وفي عدد المجلة" 37" عام 1909 كتب حلمي مقالا بعنوان مصر للمصريين وفيه .."أما المدارس التي زعم المنافقون أن محمد علي أسسها لخير مصر فقد كان غرضه منها الحصول على عدة ضباط ليستخدمهم في مقاصده لما كان عازمًا الخروج على الدولة صاحبة النعمة عليه" وكتب أيضًا: "فإذا عرف المصري مما تقدم أنّ شقاءه وبلاءه ليس له من سبب سوى عائلة محمد علي؛ فقد وجب عليه أن يتخلص منها لأن هذه العائلة هي من سلمت مصر للإنجليز". وتحدث في المسكوت عنه: "باي حق مشروع تأخذ عائلة محمد علي من الخزينة المصرية

350 الف جنيه سنويًا.. بأي حق، وأي شر دفعوه عنها، وأي خير جلبوه لها حتى يستحقوا هذا الثمن" وختم مقاله: "فيا أيها المصري واصل سواد ليلك ببياض نهارك في الخلاص من الخديو ومن عائلة محمد علي، وابدل مالك وحياتك في أن تكون حُرًا، مستقلًا يحكمك مصري". قدمته السلطة إلى المحاكمة بتهم " 1 - التطاول على مسند الحضرة العلية الخديوية، 2 - الطعن في نظام حقوق الوراثة في الحكم، 3 - الطعن في حقوق الحضرة الفخيمة الخديوية، 4 - دعوة الأمة للخروج على طاعة الحضرة الفخيمة، 5 - انتزاع الملك من عائلة محمد علي" وقضت محكمة السيدة زينب بحبس الأستاذ أحمد حلمي تسعة أشهر حكمًا بسيطًا، واستأنفت النيابة فقضى الاستئناف بحبسه سنة مع الأشغال الشاقة، وإعدام كل ما يضبط من العدد 37، وأغلق المندوب السامي الجريدة.. فكتب حلمي ردًا على الحكم:

إن سجني جزائي في محبتهم	فيا الذي للعدا أبقوه تنكيلًا
يا خازن السجن نفذ ما أمرت به	فلست تملك للأحكام تعديلًا.



ان يمنح حاكم او مسئول احد مواطنيه أمر منطقي جدًا؛ فالحاكم في كل الأنظمة هو المانح الأول، وكثيرًا ما تردد على ألسنة الشعب "المنحة يا ريس"، ولكن أن يكون الشعب هو المانح أمر غريب وغير تقليدي.. ولنا هنا وقفة..

كما بدأتها اللواء.. عادت اللواء من جديد في (28 يونية 1909) ونشرت في افتتاحية العدد مقالاً للشيخ عبد العزيز جاويش بعنوان: "ذكرى دنشواي" أعاد فيها الحادث للمشهد..

"سلام على أولئك الذين كانوا في ديارهم آمنين مطمئنين، فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان، فأزعج نفوسهم، وأحرق حصادهم، فلما هموا بصيانة أرزاقهم، قيل إنهم مجرمون، وسيقوا في السلاسل والأغلال، فصلبوا على مرآى ومسمع من زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم وعيالهم وجيرانهم.. سلام على تلك الأرواح البريئة التي انتزعها رئيس المحكمة المخصوصة من مكامنها في أجسامهم، وقدَّمها قربانًا إلى ذلك الجبار الظالم، والغاضب القاهر، والقائم في بلادنا بنفاقنا وتفرقنا..

سلام على أولئك الذين وقف المدعي العمومي فثار فيهم ثوران الجبارين، ثم انثنى على رقابهم فقضمها، وعلى أجسامهم فمزقها، وعلى دمائهم فأرسلها تجري في الأرض تلعن الظالمين.. قام المدعي العمومي مقام الشهود، وطلب من قضاة المحكمة الظالمة أن يحشر أهل دنشواي، فيقدموا قرابين إلى هيكل الاحتلال، فلما لبث رئيس المحكمة وزميله قاضي دنشواي، إن استهوتهما الأموال، واستغوتهما المناصب، واسترهبتهما عظمة الاحتلال، فأنطقهما بذلك الحكم الجائر، لرغب في الألقاب والمناصب، وعوز النفس إلى الشعور بالواجب" .

ختم جاويش مقاله بالنقد والهجوم على محامين الأهالي، واتهمهم
تقصير، وخص محمد بك يوسف بعبارات شديدة وقاسية، ولم يكد
مر عدد اللواء، وتداوله أيادي القراء حتى ساد الهمس والغمز
هم، فرئيس محكمة دنشواي الهزلية بطرس باشا غالي أصبح رئيسًا
كومة، وعضو المحكمة أحمد فتحي زغلول أصبح وكيلا للحقانية..
، استدعاء الشيخ جاويش لمحاكمته بتهمة الإهانة في قضية نظرتها
كمة جُنح عابدين .

قضية محاكمة الشيخ جاويش أعادت إلى الأذهان حادثة دنشواي بظروفها
لابَسَتها. وأثناء المحاكمة تكرر الكلام عن الحادث المشؤم الذي هز مصر
الم والحر بأكمله، وفتحت محكمة عابدين ابوابها للجمهور التي حيت
يش وهيئة الدفاع عنه أحمد لطفي السيد بك ومحمود بسيونى ومحمود
، سرور، وكانت أول مطالب هيئة الدفاع ضم جميع أوراق قضية دنشواي
ضية المنظورة، وتعديل تهمة المتهم من الإهانة إلى القذف لتأكيد صحة
نسبه الكاتب في مقاله فتنتفي بذلك مسئوليته وتسقط التهمة، ولكن
ابة أصرت على إبقاء التهمة كما هي.

وكان الجمهور في انتظار مرافعة لطفي السيد، وترافع وسط لهفة
ضور، وبدأ ترافعه بنقد النيابة لوصفها التهمة بتكييف قانوني خاطئ،
د أدلة الاتهام، وأكد على الأمر ليس شخصيًا بين بطرس باشا والشيخ
مم، ولكن ذكرى دنشواي أعادت إلى ذهن الكاتب الظلم الصارخ والفظائع
ميبة التي ارتكبت فيها، فكتب مقاله متأثرًا بهذا الشعور الشريف.

اندمج لطفي السيد في مرافعته فتذكر وذكرَ تفاصيل دنشواي على
ضور، واستخدم بلاغته المعروفة في الوصف وقال فيما قال: "نفذ
كم بما جرى به القضاء المسطور، والقدر المقدور، وضجت الأرض
كية إلى باسطها ظلم الإنسان، وما كان دمًا ما سال من مآقي البائسين،
نه ذوو القلوب من فظاعة الحكم وهول التنفيذ، ولا زفيرًا وشهيقًا تنفس
تفسون، وإنما كان وهج النار الملتهبة في الصدور من الأسى والفزع..
انق منصوبة، وأرض بالدماء مخضوبة، وأيد بالسلاسل مغلولة، وارجل
صفاد مكبولة، ودموع مرسلة، وأبناء يرون كيف تنتزع أرواح الآباء، ونسوة

يخدشن الوجوه، ويشققن الجيوب، والدنيا كلها في مأتم لمصابهن، فما هي مهمة الصحافة الوطنية في هذا الحال؟ لاشك في أن واجب الصحفي ان يذكر الحكومة بفظاعة هذا القانون الجائر، وأن يرفع الصوت عاليًا مدويًا بأن بقاءه وصمة عار..»، وبعد انتهاء المحامي الكبير من مرافعته، وبعد التصفيق الحاد من كل الحضور.. بكى جاويش في قفص الاتهام .

ثم ترافع الأستاذ إسماعيل الشيمي، وكانت مرافعته بحثًا طويلًا شاملًا في القانون، وعاد بالقضية إلى دنشواي، وتساءل عن قانون تشكيل المحكمة المخصوصة التي حاكمت المتهمين في تلك القضية.. رُفِعَت الجلسة، واختلى القاضي بنفسه، وعاد فنطق الحكم، وكانت غرامة.. استأنفت النيابة الحكم، وانتهى السجال بين النيابة والدفاع، ونطق رئيس المحكمة بتعديل العقوبة من الغرامة إلى الحبس ثلاثة شهور.

دخل الشيخ عبد العزيز جاويش السجن، وقام عدد من الوطنيين بدعوة الشعب إلى الاكتتاب – التبرع – للاشتراك في إقامة حفل تكريم لجاويش بعد خروجه من السجن، وتم جمع الاكتتاب من أفراد الشعب، وصنعوا وسام – لأول وآخر مرة في التاريخ – من ثلاث قطع ذهبية.. نقش على الأولى رسم الأهرامات الثلاثة، وكتب على الثانية "تذكار الشعب إلى الشيخ جاويش اعترافًا بوطنيته الصادقة، ونقش على الثالثة الآية الكريمة: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم" .

من وحي أزمة الدستور

1 - من المفارقات المدهشة في التاريخ تطابق حدثين في الزمن
الأحـداث.. حتى يصبح أحدهما مرآة للآخر يرى فيها تفاصيله..
لحدث الثاني في المفارقة هو حادث (4 فبراير 1942)، وفيه حاصرت
لقوات البريطانية قصر عابدين، واقتحم السفير البريطاني السير
ايلز لامبسون القصر، وخير الملك فاروق بين استدعاء النحَّاس باشا
تشكيل الوزارة أو التنازل عن العرش.. لم يجد فاروق مفرًا من تكليف
لنحَّاس باشا بتشكيل الوزارة منفردًا.. أما الحدث الأول فقد رواه كل من
لصحفي كريم ثابت المستشار الصحفي للملك فاروق، والأستاذ إستيل
سقلي الموظف بقسم الترجمة بقصر عابدين في عهد الملك فؤاد..
لى خلفية صدور تصريح (28 فبراير 1922) والذي نَصَّ على أن «مصر
ولة مستقلة ذات سيادة» مع احتفاظ بريطانيا بالتواجد وحماية مصر
قت اللزوم مما يعني أن الاستقلال لم يكن كاملا «نصف حرية»، ونصف
لحرية احتلال كامل.. تألفت لجنة لكتابة دستور مصر.. عرض الدستور
لى الملك فؤاد، ولكنه اعترض على المادة التي تَنُص على أن «الأمة
صدر السُّلطات»، واستدعى عبد الخالق باشا ثروت..

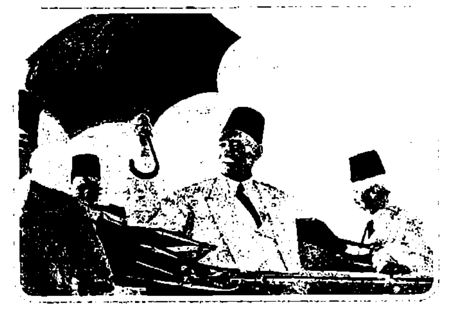


أعضاء لجنة الدستور التي أطلقت عليها المعارضة يومئذ «لجنة الأشقياء» ، يتوسطهم حسين رشدي باشا

وصاح في وجهه: كيف تكون الأمة مصدر السُّلطات؟.. وأين سلطاتي أنا؟

استقال ثروت باشا، وأتى الملك فؤاد برجل القصر محمد توفيق نسيم باشا رئيسًا للوزارة، والذي بدوره أجبر لجنة الدستور على حذف المادة التي أغضبت الملك، وتوسَّع في سُلطات الملك، وأضاف إلى ألقاب فؤاد في الدستور لقب «ملك مصر والسودان» بعد أن كان سلطان مصر ثم ملك مصر وسيد النوبة وكردفان ودارفور.

على أثر فعلة الملك فؤاد تجددت المظاهرات في الشوارع، وإلقاء القنابل على المعسكرات البريطانية، وتم استهداف عدد من الشخصيات البريطانية، وخرجت الأمور عن السيطرة، فاقتحم المندوب السامي البريطاني الماريشال اللنبي قصر عابدين في (4 فبراير 1923) وخير الملك فؤاد البقاء على النصوص الأولى التي كتبتها لجنة الدستور او التنازل عن العرش».. لم يجد الملك فؤاد مفرًا من إعادة نصوص الدستور كما كانت، وكلف يحيى إبراهيم بتشكيل الوزارة، وأعلن دستور 23 في 19 إبريل 1923.. ظل التشابهة بين الحدثين «التاريخ 4 فبراير، الملك، المندوب البريطاني، اقتحام قصر عابدين، تهديد بالعزل، تراجع الملك».



2 - أطلق سعد باشا زغلول على لجنة كتابة دستور 23 "لجنة الأشقياء"، وناصبها العداء لأنها لا تمثل الشعب بحكم تعيينها بقرار ملكي وليست بالانتخاب، وكان يشكك في النتيجة النهائية للجنة.. بعد خروج الدستور للنور انتقل سعد من معسكر المعارض إلى معسكر المؤيد، وكان من أكثر المدافعين عن بنود الدستور، وطالب الشعب بحمايته، وعندما فاز الوفد بأغلبية كاسحة في انتخابات يناير 1924.. شكّل سعد أول وزارة شعبية دستورية، وكانت أول قراراته الوزارية الإفراج عن المعتقلين السياسيين، ثم حمى الدستور من طغيان الملك..



نَص الدستور لأول مرة على أن الأمة مصدر السُلطات، وأن الملك يمارس سُلطاته من خلال الوزراء، وللملك تعيين 1/5 أعضاء الشورى.. في هذا البند أصر سعد باشا أن الوزراء هم من لهم حق تعيين الأعضاء لأن سُلطات الملك تمارَس من خلال الوزراء.. في حين أصرًّ الملك على أن يقوم بالتعيين بشخصه.

احتكم سعد وفؤاد للبارون "فيرمين فان دن بوش" النائب العام للمحاكم المختلطة لأنه بلجيكي، ودستور مصر مقتبس من دستور

بلجيكا.. وافق البارون على الاحتكام.. فوجئ البارون بعشرات الآلاف متجمعين أمام قصر عابدين.. يهتفون لسعد وللدستور، واستشعر أن البلاد على حافة ثورة جديدة..

بعد سماع البارون للطرفين قال: إعفاء الملك من المسئولية هو أساس هذا الدستور، فليس له أن يباشر سُلطاته إلا عن طريق وزرائه، وهذا المبدأ لا يقبل في نظر القانون أي استثناء يهدم الدستور من أساسه.. لقد نلت شرف اختياري للتحكيم لأني بلجيكي وبسبب التشابه في الدستور بين بلدينا.

مدَّ الملك فؤاد يده لتحية البارون وقال: قبلت الرأي الذي صنفته.. أشكرك .



وقال سعد: وأنا أيضًا.

تجاوز الأزمة في سلام، وحافظ سعد على حقوق الأمة التي دعمته.

3 - ظل دستور 23 كابوسًا يراود الملك فؤاد في منامه.. كان ينتهز الفرص للانقلاب على دستور الشعب.. عندما تزداد عليه الريح ينحني، ويتربص بفرصة جديدة تعيد له سُلطاته، وينتقص من سلطات الأمة.. في عام 1930 استخدم القبضة الحديدية في فَرضْ رأيه مستخدمًا ولاء إسماعيل صدقي له.. ظهر زوار الفجر، وفضت المظاهرات بالقوة، واعتقلت النساء لأول مرة في تاريخنا، وظهرت قائمة التهم الجاهزة تخريبيين وعملاء وخونة.. كلامك عن دستور 23 كفيل أن يكون سببًا لسجنك لفترة طويلة، فاستخدم

الشعب سلاح النكتة والسخرية والتهكم.

جرى على لسان الشعب وقتها نكتة لا إحم ولا دستور "بلدياتنا ماشي بالليل جنب عسكري درك.. كح بلدياتنا كحة خفيفة.. إحم إحم.. قال له العسكري: إمشي ف حالك يا جدع انت.. قال بلدياتنا للعسكري: يعني إيه؟ جرى إيه للبد؟ هو مفيش ف البلد دى لا إحم ولا دستور!!!"

4 - فرض إسماعيل صدقي على الأمة دستور 1930، وفيه كل ما يتمناه الملك فؤاد، وحصنه من أي تعديل لمدة عشر سنوات.. تحالفت الأحزاب، وتحالف الأحزاب في هذه الفترة حدث نادر، وعقدوا في بينهم ميثاق عهد الله والوطن، وأعلنوا مقاطعتهم لأي انتخابات، ودعوا الشعب للتظاهر، وعادت المرأة من جديد تتصدر الصفوف الأمامية في المظاهرات في صورة أحيت بعض مظاهر ثورة 19.. قبض البوليس بأوامر من إسماعيل صدقي على متظاهرات ضد الدستور الجديد، والقى بهن في قسم بوليس السيدة زينب، وفي الجانب المخصص للعاهرات والنشالات.. رغبة منه في تحطيم حالتهن النفسية.. اتجهت السيدة صفية زغلول إلى قسم السيدة زينب، واصرَّت أن تبقى مع المتظاهرات في حبسهن.. انتشر خبر وجود أم المصريين في حجز السيدة زينب، فاتجه الآلاف إلى القسم لاقتحامه، فأفرج المأمور عن المحتجزات خوفًا من غضب الأهالي.



لم يختلف الأمر كثيرًا في طنطا.. خرجت سيدات وفتيات حزب الوفد في مسيرة حاشدة.. طلبن من الناخبين مقاطعة الانتخابات، والهتاف ضد حكومة صدقي، والمطالبة بعودة دستور 23.. ألقى القبض على العشرات منهن، ومنع أهاليهن من الاتصال بهن، وفي صباح اليوم الثاني خرجت مظاهرة شعبية اتجهت إلى ميدان الساعة بالقرب من قسم البوليس، وظهرت المحتجزات من نوافذ الحجز يهتفن، والشعب ردد هتافهن.

سينوت حنا، وقد امسك الطبيب بذراعه الجريح، بعد الاعتداء عليه يوم احداث المنصورة، وظهر في الصورة مصطفى النحاس وآثار الدماء على ثوبه

5 - زار النحّاس باشا مع لجنة من الوفد مدينة المنصورة في 8 يوليو 1930.. احتشد الأهالي بالآلاف لتحيته ودعمه وتأكيدًا له أنهم معه في رفض إلغاء العمل بدستور 23.. واجهتهم في الطريق قوة من الجيش مكونة من ثلاثة آلاف جندي وقوة من البوليس، وبدأوا يستخدمون القوة المفرطة في التعامل مع الأهالي لتفريقهم، فواجههم الأهالي.. حاول جندي طعن النحّاس باشا بالسونكي، فحضنه سينوت بك حنا، واخترق السونكي جسد سينوت وتوفي بعدها متأثرًا بجراحه.. قتل في هذه المواجهة أربعة أشخاص من أهالي المنصورة، وثلاثة من أفراد الجيش، وتجاوز الجرحى مائة وخمسين شخصًا.. في تصرف مستفز من إسماعيل صدقي قام بترقية الأميرالاي عبد العظيم علي الذي فض المظاهرة إلى رتبة لواء، وأحيل الصاغ محمد أمين إلى الاستيداع – الإيقاف من الخدمة مؤقتًا – لأنه

رفض فتح النار على الأهالي.

6 - صاح الكاتب الكبير عباس محمود العقاد تحت قبة البرلمان: "إن الأمة على استعداد لسحق أكبر رأس في البلاد تحاول أن تعبث بدستور الأمة»، ولهجومه بقية في جريدة المؤيد: «أفيظن الرجعيون أن المصريين قد ثاروا ثورتهم ليستقل الرجعيون بالتحكم فيهم والأمر والنهي في رقابتهم؟.. هل من الاستقلال أن تلجأوا إلى اللورد لويد جورج ليهدم الدستور ويلغي البرلمان ويحكم في البلاد الآلات المسخرة من وزراء محمد محمود؟ وهل من الاستقلال الذي أراده أهله لأنفسهم ولم يريدوه لكم تسلطونه عليهم سوط عذاب ولعنة من لعنات الذل والخراب»، واستمر العقاد في معركته، وما أدراك ما العقاد في معاركه بحدته وهجومه.. في (21 أكتوبر 1930) قُدِّم العقاد وصاحبه محمد فهمي الخضري صاحب جريدة «المؤيد الجديد» للمحاكمة بتهمة العيب في الذات الملكية، وطالبت النيابة العمومية بتطبيق (المادة 156) من قانون العقوبات بتهمة العيب في الذات الملكية، وصدر الحكم ظهر يوم (31 ديسمبر 1930) بالحبس تسعة أشهر قضاها بسجن مصر العمومي بالقلعة.



العقاد أثناء خروجه من دار القضاء العالي بعد الحكم بسجنه

7 – في (مايو 1931) كان برنامج الوفد والأحرار الدستوريين زيارة الأقاليم، وحشد الشعب ضد تصرفات إسماعيل صدقي لحماية الدستور من العبث به.. سافر رجال المعارضة وعلى رأسهم النحَّاس باشا إلى بني سويف، وما إن وصل قطارهم إلى المحطة، حتى وجدوا المحطة محاصرة برجال البوليس.. التقاهم حكمدار المديرية وأبلغهم بالأوامر التي تلقاها من الحكومة، وهي منعهم من الخروج من المحطة، ومنع الأهالي من الاقتراب منها، وأن الأوامر فيها أيضًا ضرورة رجوعهم إلى القاهرة في قطار الليل.. انتظر الزعماء ساعات طويلة داخل المحطة لحين وصول القطار.. أحسَّ النحَّاس باشا بالتعب، فنام على الدكة الخشبية.



اللطائف المصورة

AL LATAIF AL MUSAWARA

الرأي العام يا صدقي باشا ؟ ؟ !! وهل نسيت ؟ ؟ !

نائب الأمة والجالس على الأريكة

الأريكة هي عرش مصر، والجالس عليها إما الوالي أوالخديو أو السلطان أو الملك.. لكل لقب منهم حقبته الزمنية وظروفه السياسية ومتغيراته الاجتماعية، ولكن تعددت الألقاب والأسرة واحدة.. نائب الأمة.. مسئولية وليست لقبًا، وفي تاريخ الحياة النيابية في مصر هناك أشخاص جديرون أن يكونوا نوابًا عن الأمة.. حملوا الأمانة، وتحمّلوا المسئولية، وتصدوا لمحاولات بيع مصر.. خاطروا بأنفسهم، فكانوا نورًا في صفحات التاريخ.. يضيء لنا الحاضر إذا قرأنا وتعلمنا منهم: عبد السلام المويلحي، وعبد اللطيف الصوفاني. ولكل منهما قصته مع الجالس على الأريكة.



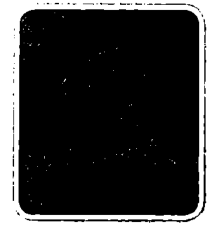
عبد السلام المويلحي والخديوي إسماعيل

كانت النية مبيَّتة لهدم الحياة النيابية تمهيدًا لسيطرة المرابين على مصر مدعومين بقناصلة بلادهم الأوربّية.. الخديوي إسماعيل في هذه الفترة لم يكن حاكمًا فعليًا للبلاد، ولم يكن أكثر من الجالس على الأريكة، والحاكم الاسمي فقط الذي أفقر العباد بتصرفاته، وأغرق البلاد في ديونه.. كتب نوبار باشا في مذكراته يدلل على اللامعقول والسفه في تصرفات إسماعيل أن أحد نبلاء فرنسا استضاف الخديوي في قصره بباريس، وبعد وليمة فاخرة على شرف خديوي مصر، طلب الخديوي شراء القصر.. انتهزها النبيل فرصة وطلب خمسة ملايين

فرنكًا ثمنًا لقصر لا يتعدى سعره مليونًا ونصف فرنك، وافق إسماعيل على السعر وحرّر حوالة مالية بالخمسة ملايين، وأثناء تحرير عقد البيع ظهرت فتاة جميلة عمرها خمسة عشر عامًا عرف الخديوي أنها ابنة النبيل، فقال للنبيل: على أني لا أتصور أنك لا تمانع في أن تحرر من جنابك عقد البيع للأنسة ابنتك هذه اللطيفة تخليدًا لذكر استحسان خديو مصر لظرفها وأدبها، ولكي لا يقال إنني زُرتك لأحرمك من قصرك!!

بهذه التصرفات وقعت مصر في ديون تجاوزت تسعة وتسعين مليونًا، وجاء وقت السداد، فظهر نائب الأمة.

في عام 1878 أصدر الخديوي أمرًا بتشكيل مجلس النُظّار ليحمل مسئولية الهيئة التنفيذية، والعمل على تسوية الديون ولو اقتضى الأمر إعلان إفلاس البلاد.. لم ينل مجلس النظار برئاسة نوبار ثقة مجلس شورى النواب، واضطر نوبار لتقديم استقالته، وكلف توفيق باشا ابن الخديوي بتأليف الوزارة، وكان أعضاء المجلس على علم بما ينويه توفيق ضدهم، فارسلوا عريضة تحتوي على اقتراحات مالية لتسوية الديون إلى السير ريفرس ويلسون ناظر المالية الإنجليزي في حكومة توفيق، وطلبوا مقابلته ومناقشته.. لكنه رفض الحضور والتعاون مع المجلس، فأرسل توفيق ناظر داخلية حكومته، رياض باشا لحل المجلس، ودارت جلسة من أعظم ما حدث في تاريخ الحياة النيابية في مصر.



الجلسة..

فتح الجلسة سعادة رئيس المجلس وقال: عطوفتلو «حضرة معالي» أفندم رياض باشا ناظر الداخلية شرف الجلسة يحمل أمرًا عاليًا سيتفضل بتلاوته على حضراتكم.

قال عطوفتلو رياض باشا: قبل أن أتلو على حضراتكم الأمر العالي الصادر من مولاي ومولاكم، أقدّم

لحضراتكم جزيل تشكرات الحكومة على ما أبداه المجلس من النشاط في نظر المسائل التي عُرِضَت عليه، وإني أتلو على حضراتكم الأمر العالي المشار إليه..

نحن خديو مصر.. بناء على ما حواه البند التاسع من لائحة مجلس شورى النواب من أن مدة توليتكم عن الأهالي تكون ثلاث سنوات وما عرض علينا من مجلس النُظار من أن المدة قد انقضت أصدرنا أمرنا بانفضاض المجلس وكلفنا ناظر داخليتنا بتنفيذ ذلك .

إسماعيل

تحريرًا بمحروسة مصر في ٢٦ مارس سنة ١٨٧٩

بأمر الحضرة الفخمة الخديوية

رئيس مجلس الوزراء **ناظر الداخلية**

توفيق **رياض**

وإني أختم كلامي بانفضاضكم اليوم، وتقدُّم لكم الحكومة تشكراتها وثناءها على ما قمتم به من المآثر الحميدة في خدمة البلاد.

عبد السلام المويلحي بك: لا أرى معنى لتشكرات الحكومة لنا فإننا لم نقم بعمل إلى الآن يكون له ولو شِبه فائدة قد عادت أو ستعود على البلاد، فما هي المآثر التى سنتركها وراءنا لتشكرنا عليها الحكومة فيما لو فرضنا المستحيل وانفض المجلس.

عطفولتو رياض باشا: مستحيل ينفض المجلس !؟ ماذا تقول حضرتك؟ مستحيل فض المجلس؟ كيف يكون فض المجلس مستحيلا بعد أمر خديوينا المعظم؟ هل حضرتك فاهم جيدًا قيمة مسئولية ما تقوله الآن؟

عبد السلام بك المويلحي: نعم أنا فاهم، وفاهم جيدًا جدًا ما قلته، ومقدر مسئولية ما أقوله تمامًا.

عطفولتو رياض باشا: هل حضرتك تتكلم عن نفسك فقط؟ وهل

إخوانك يوافقونك على هذا الكلام؟ ما أظن أن حضراتهم يوافقونك على ذلك مطلقًا.

محمود بك العطار سر تُجار مصر: موافقون لبك المويلحي على ما قاله يا عطوفة الناظر.

عثمان أفندي غزالي: أنا والله موافق المويلحي بك بجوارحي على أقواله وأفكاره.

عبد الشهيد أفندي بطرس: أوافق عبد السلام بك المويلحي على ما قاله وما سيقوله مقدمًا.

عطفولتو رياض باشا: إذًا أنتم جميعًا عصاة.

عبد السلام بك المويلحي: حلمك يا باشا.. لا تغضب سريعًا، والآن الحمد لله قد ظهر لعطفولتك موافقة إخواني لأقوالي، وهم يعرفون كلهم مقدار المسئولية التي تتحدث عنها عطوفتك ويقدرونها حق تقديرها.. فاعلم يا عطوفة الباشا أن من الغريب أن تحمل لنا أمرًا عاليًا اليوم يُقضي بفض المجلس، وهذا الأمر العالي مبني على غلطة جوهرية فاضحة لأنها في الواقع مغالطة مزرية من الحكومة السنية لمجس نواب أمتها؛ وهي كيف جاز للحكومة أن تبني الأمر العالى بفض المجلس على أن مدة انعقاده قد انتهت؟ مع أن الحكومة تعلم والنواب يعلمون جميعًا أن تاريخ الديكريتو الذي صدر بانعقاد هذا المجلس وبتعيين سعادة أحمد باشا رشيد هذا رئيسًا للمجلس هو 26 ديسمبر سنة 1878 فلم يمض إذًا على دور المجلس سوى سنة وثلاثة اشهر، فكيف أصبحت هذه المدة على حساب الحكومة ثلاث سنوات؟

عطوفتلو رياض باشا: أما حساب عجيب وغريب يا حضرة النائب.. إن مدة انعقاد المجلس هي من بدء النطق الكريم الذي صدر من مولانا الخديو المعظم في حفلة طنطا (27 أغسطس 1876) فاحسب حضرتك تجد أن المدة فاتت وزيادة.

عبد السلام بك المويلحي: ما هذا الكلام يا عطوفة الباشا؟ حفلة طنطا!! وما هي حفلة طنطا؟ وما لنا وحفلة طنطا الآن؟ وما هو مقدار رسمية حفلة طنطا؟ وما قيل من خطب ردًا على ما قام به سمو الخديو في تلك العزومة لحضرات المدعوين إليها؟.. إن الغريب والعجيب هو حساب الحكومة لا حسابنا.. عزومة شرفها سمو الجناب العالي وتناول الطعام مع المدعوين إليها وقيل فيها كلام وخطب من سموه ومن المدعوين ولم يدوّن منه حرف واحد على الإطلاق لا بطريقة رسمية ولا شبه رسمية تفيد أن كلام سموه فيها كان أمرًا عاليًا له قيمة القانون ويؤثر في مدة انعقاد مجلس شورى النواب وتحديد تلك المدة؟ اليس إذًا هذا الكلام عجيبًا وغريبًا من عطوفتكم لا منّا؟

إبراهيم افندي الوكيل: عجيب جدًا.. بالله اتركوا عزومة طنطا وما حصل فيها على رأي المثل العامي «زكايب الهم مقفولة».

عطوفتلو رياض باشا: يعني حضراتكم تقلدون نواب فرنسا الذين ثاروا على حكومتهم؟ يعني حضراتكم الآن بعمائمكم وجببكم مثل نواب اوربّا وامريكا؟؟

أحمد على العديسي بك: يا باشا انت الآن شتمتنا.. ما هذا الكلام؟ يعني عطوفتك شتمت نواب أمتك التي تعطيك أنت وغيرك مرتباتكم الشهرية.

عبد الشهيد افندي بطرس: أنا أعتبر هذه العبارات إهانة من ناظر الداخلية للمجلس، وأطلب إثباتها في المحضر، واقول إن كلامه هذا وقاحة، وأن المجلس لا يقبل من ناظر الداخلية هذه الوقاحة بل يردها له.

شيخ العرب الصوفاني: أوافق حضرة العضو على رد الإهانة للناظر، وأطلب من المجلس أن ينظرها فيما بعد ليحاسب عطوفته عليها حسابًا عسيرًا حتى يعلم أن في البلاد أمة حية ولها نواب أحياء يدافعون عن كرامتها وكرامتهم.

عبد السلام بك المويلحي: أسمعت يا باشا؟؟ أرأيت عاقبة تسرُّع عطوفتك في الكلام وعدم ضبطك عواطفك كما قلت لك في أول كلامي؟؟ يا باشا اعلم أن المسألة ليست مسألة زي وثياب بل المسألة مسألة نواب لهم عقول تفهم جيدًا رغائب الأمة التي أنابتهم عنها واعلم يا باشا أن أهل وطنك ليسوا بأقل شعورًا بما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات مثل الأمم الأخرى التي هي في الواقع أقل منا كثيرًا في المكانة المالية والعمرانية كصربيا وبلغاريا وغيرهما.

« كلام النواب ردًا على إهانة وزير الداخلية رياض باشا .. أجبره على الانسحاب من الجلسة»

بعد انسحاب الوزير طلب المويلحى من أعضاء المجلس استمرار الجلسة لأجل غير مسمى، ومواصلة الليل بالنهار مجتمعين، فوافق نواب المجلس بالإجماع على طلب المويلحي، واتفقوا على التناوب فيما بينهم على أن يتواجد ما يعادل ثلث عدد الأعضاء كل يوم، ويبيت، وفي النهار يأتي ثلث آخر، واتفقوا على أن يحضروا العشاء كل ليلة للمتواجدين في القاعة، وفي الليلة الأولى أحضر إبراهيم بك الجيار طعام العشاء لزملائه.

بعد احتلال النواب للمجلس..عقدوا جلسة مفتوحة.. تناقشوا فيها وبحثوا عن الحل الأمثل للخروج من الأزمة..

عبد السلام المويلحي: إن المجلس يطالب بعدم قطع أمر في أي شيء كان إلا باشتراكه، وإن بعض الأعضاء يقولون إنه إذا كان لا يحصل ذلك ربما يحصل من الأهالي أمور لا يصح وقوعها، ويكون مجلس النظار تحت المسئولية.

باخوم افندي: إن توجهنا للأهالي بهذه الكيفية ربما يحصل منه غضب للأهالي بعد ما قيل لهم إن نوابكم موجودون للنظر في راحتكم.

محمد افندي راضي: لا نتوجه لطرف الأعتاب إلا إذا أعطى لمجلس النواب حقوقه وأجيبت طلباته.

انضم الأهالى والأعيان وضباط الجيش والتجار والموظفون للنواب، ثم وضعوا بيانًا شاملًا حوى عدة اقتراحات لتسوية الأزمة

المالية، وطلبوا بمنح مجلس شورى النواب جميع الحريات والحقوق «في كافة الأمور المالية والداخلية كما جار في بلاد أوربا».. شعرت الحكومة بالحرج أمام الرأي العام، فاضطرت للاستقالة، وتولى شريف باشا تشكيل الحكومة الجديدة.. أرسل شريف باشا خطابًا لمجلس النواب نشرته الوقائع المصرية في (10 إبريل 1879)، وهذا نصه..

ولو أنه كان تقرر بمجلس النواب السابق عن انقضاض مجلس شورى النواب لانقضاء مدته حسب ما تحرر لسعادتكم في ربيع آخر بنمرة 31 لكن حيث أن مقتضيات الأحوال مستلزمة إبقاءه للمذاكرة والمفاوضة معه في بعض مواد مهمة قد تقرر بمجلس النظار الذي تشكل الآن، استمراره، واقتضى تحريره لسعادتكم للإحاطة بذلك وتفهيم حضرات أعضائه بعد الانصراف..

الإمضاء
شريف

ما بين تاريخ بداية انعقاد الجلسة في 27 مارس، وتاريخ خطاب شريف باشا 10 إبريل.. أيام من التحدي بين إرادة الشعب وإرادة السُلطة.. انتصر فيها الشعب ونوَّابه.

فلاش باك.. الطريف أن هذا المجلس تحمس له الخديوي إسماعيل قبل انعقاده، ورأى فيه واجهة اجتماعية في عصره لا تقل عمّا يوجد في أوربًا، وهناك خطاب شهير أرسله الخديوي لنوبار باشا جاء فيه:

«يسرني يا عزيزي نوبار أن أخبرك أن الإقبال على الانتخابات كان عظيمًا ولو أن حال الشعب عندنا لم ترتقِ بعد إلى مستواها في أورُبًا.. وقد أدرك الشعب تمام الإدراك الفوائدَ والمزايا التي تعود علينا من وجود هذا المجلس».

صدق الخديوي إسماعيل «الجالس على الأريكة».. كان للمجلس فوائد ومزايا، ومنها إفشال مخططه بيع مصر، وإسقاط وزارتين في عصره على يد المجلس بزعامة نائب الأمة عبد السلام المويلحي.. وزارة نوبار، ووزارة ابنه توفيق.

عبد اللطيف الصوفاني والخديوي عباس

في الساعات الأولى من تأسيس الجمعية التشريعية لمجلس الأمة.. سعى أعضاؤها إلى أن يكون النظار «الوزراء» مسئولين أمامها.. للتأكيد على الدور الرقابي للسُلطة التشريعية، وكان الداعي لهذا الإجراء عبد اللطيف بك الصوفاني.. استجاب الخديوي عباس حلمي الثاني للطلب ومنح في خطابه أعضاء الجمعية التشريعية حق مناقشة النظار في اجتماعاتهم الرسمية ومحاسبتهم، ولما تلا هذا الخطاب في الجمعية التشريعية..

قال الصوفاني: إنه يفهم من هذا الخطاب أن الخديوي يخول الجمعية حق سؤال النظار بشكل منحة في حين أن الجمعية لا تريد أن تنظر إلى المسألة كمنحة بل كحق من حقوقها المكتسبة.

ثم ناشد زملاءه أن يسنّوا قانونا يمنحهم الحق الذي يريد الخديوي تصنيفه كمنحة «أن يكون لمجلس الأمة حق مناقشة ومحاسبة النظار»، فوافق الأعضاء.

رُفعت الجلسة، وبدا في الكواليس تحرك من رجال الخديوي مع باقي النواب.. بالإغراء مرة، وبالتهديد مرات، وبقلب الحقائق، وبعد محاولات لا تعرف اليأس، نجح رجال السرايا في الوصول إلى هدفهم، وتراجع بالفعل عدد من أعضاء الجمعية التشريعية عن دعمهم للصوفاني.. تخلوا عنه في قلب المعركة، وتراجعوا وتركوه مع قلة منهم أمام الخديوي ورجاله، وانخفض عدد الداعمين لحق المجلس في محاسبة النظار إلى خمسة أعضاء منهم الصوفاني، فكانت المواجهة بين النائب والجالس على الأريكة.

وصل للخديوي من البعض أن الصوفاني تحدث عنه بطريقة غير لائقة في خطابه الذي ألقاه في الجمعية التشريعية، وبما لا يتفق مع احترام الشعب وتقديره لمقامه، ولأن الصوفاني لم يكن يعلم بأمر هذه الوشاية حدث أن زار سراي رأس التين مع وفد من الجمعية التشرعية لوداع الخديوي قبل سفره إلى أورُبّا، وفي اليوم المحدَّد للتشريفات الرسمية..

اقترب منه سعيد ذو الفقار باشا « كبير الأمناء» وقال له: أفندينا متأثر منك وزعلان.

ردَّ الصوفاني: أنا لم آتِ إلى هنا بصفتي الشخصية ولكني أتيت بصفتي أحد ممثلي الأمة المصرية لأحيي الجالس على الأريكة المصرية، أما وإنكم لا تريدونني فأنا أعلن ذلك وأنسحب.

تفردت جريدة الأخبار بنشر الخبر تحت عنوان «نائب يطرد من سراي راس التين»، فصدر قرار بمصادرة العدد وإغلاق الجريدة.

في خلفية الأحداث حالة عدمِ تفاهم بين الخديوي والمندوب السامي البريطاني اللورد كتشنر.. كل يغني على صلاحياته.. انتهزها اللورد فرصة، وحاول التقرب من الصوفاني، وأرسل له في الجمعية التشريعية سكرتيره الخاص..

السكرتير: إن اللورد سعيد من حادث رأس التين، وهو سيكون ممنونًا لو زرتموه فيقابلكم بكل حفاوة وإكرام.

الصوفاني: يهون عليّ أن امتهن في راس التين «مقر الخديوي» على أن أعزز وأكرم في قصر الدوبارة «مقر المندوب السامي البريطاني».

عرف الخديوي بما حدث بين النائب وسكرتير المعتمد وهو في أورُبّا، وأعجب برد الصوفاني، وقبل عودته من أورُبّا أرسل يأمر رجال السرايا بضرورة وجود الصوفاني بين مستقبليه.. لكن الصوفاني رفض تحقيق الرغبة الخديوية، وتجاهَل كل محاولات رجال السراي، فلما وصل الخديوي إلى الإسكندرية ولم يجده بين مستقبليه أرسل له أحد رجال السراي يقول له: إذا كنت لا تريد زيارتي فلم يبقَ إلا أن أزورك أنا.

ردَّ الصوفانى على رسالة الخديوي بـ «عفوًا».

وزار الصوفاني الخديوي في قصر القبة، ودام اللقاء بينهما ساعة ونصف.

جدير بالذِّكر أن نائب الأمة الصوفاني كان أحد المتصدين للحكومة في أزمة مد امتياز قناة السويس لبريطانيا، وحين أخبروه أن معارضته لمد الامتياز قد تكلفه صداقته بالبرنس حسين كامل رئيس الجمعية العمومية قال لهم: إذا كان البرنس حسين كامل هو الذي أرسلكم إليّ لتبلغوني هذا الكلام فقولوا له إني مستعد لأن أخسر هذه الصداقة، ولكني لست مستعدًا على الإطلاق لأن أسلك مسلكًا مناقضًا لما يوحي إلي به قلبي وضميري في سبيل مصلحة بلادي.

هذا هو نائب الأمة.. هذا هو عبد اللطيف الصوفاني.. عارَض الحكومة عندما سلبت حق الأمة، وعارضها عندما حاولت التفريط في موارد الأمة.. قال عنه الزعيم سعد زغلول: «يعلم الله أن احترامي للصوفاني عظيمٌ».



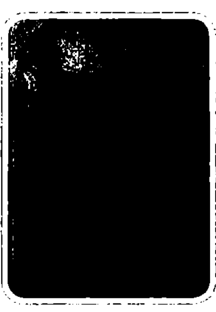
للإذاعة المصرية حكايتها منذ النشأة.. فيها العلم والحُلم والطموح والمبادرة.. بدأها الطالب "حبشي جرجس" الذي لم يتخيل وهو يغادر وطنه إلى إنجلترا عام 1922 لدراسة الهندسة اللاسلكية أنه سيعود يومًا إلى وطنه رائدًا، وصاحب التجربة الإذاعية الأولى.

بعد خمس سنوات قضاها الطالب حبشي جرجس في إنجلترا للدراسة.. عاد عام 1927، وفي داخله خبرة اكتسبها وعِلمٌ تشبَّع به.. في هذه الفترة لم يكن في مصر محطات إذاعية باستثناء محطة تابعة للبريطانيين تخدم أهدافهم وثقافتهم، ويستمع إليها عددٌ من الأثرياء.. درس حبشي فكرة إنشاء محطة إذاعية أهلية، ولكن "الإيد قصيرة".. فلجأ إلى وكالة البلح يبحث في مخلّفات الحرب العالمية الأولى.. بعد بحث طويل وإجهاد بدون يأس.. وجد هدفه في "وكالة إلياس شقار".. ما بقِي من محطة إذاعية كانت مستخدمة في الحرب.. لا يعرف قيمتها إلياس، وكان يعدها للصَهر وإعادة سبكها أدوات منزلية.. رفض إلياس التنازل عنها قبلٍ أن يعرف قيمة هذه الخردة.. صارحه حبشي بما يدور في رأسه.. أعجَب التاجِر بالفكرة ووافق على منح "الخردة" إلى حبشي شرط أن يكون شريكًا له.. وافق حبشي، وحصل من التاجر على مبلغ ستمائة جنيه لاستكمال المشروع.

كان المقر الأول لمحطة إذاعة حبشي في منزل إلياس شقار بشارع شبرا، وفيها قام حبشي بتجاربه التي استنزفت منه الوقت والجهد، حتى نطقت بعد تجارب كثيرة، وانتقلت المحطة من شارع شبرا إلى شارع الجيش قُرب ميدان القبة.. الخلاف على الإدارة بين الشريكين أنهى الشراكة بينهما، واستبدل حبشي التاجر بالأستاذين: «أحمد فريد الرفاعي، وإسماعيل وهبي» - شقيق الفنان يوسف وهبي-، وانتقلت المحطة إلى مقرها الأخير في منزل الرفاعي الكائن في شارع النجوم بحدائق القبة.

فتحت المحطة أبوابها للمشتركين، كما فتحت باب الإعلانات التجارية بمقابل مادي.. الاشتراك الشهري في المحطة نصف ريال، والإيراد اليومى تجاوز عشرة جنيهات، وكان للمشتركين إمتيازات منها أن تلتزم المحطة بإذاعة الأغنية التي يطلبها المشترك شريطة ان يذكر في خطابه المرسل للمحطة رقم اشتراكه، ومن المطربين الذين كانوا يذاع لهم أغانيهم: صالح عبد الحي، ومحمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وبديعة مصابني، وفريد الأطرش، وأسمهان وغيرهم. وكانوا لا يتقاضون أجرًا مقابل حق الإذاعة .

حدث أن زارت المحطة سيدة، ودفعت 50 جنيهًا دفعة واحدة كاشتراك منها في المحطة على أن تذيع لها المحطة أسطوانتين "الجو رايق- للمطرب محمد عبد الوهاب"، وأغنية "في الجو غيم- للمطرب صالح عبد الحي" على أن تقوم المحطة بقطع إرسال ما تذيعه وتذيع أسطوانة من الاثنتين تحددها السيدة في الوقت الذي تريده بالتليفون.. استمر الحال لفترة السيدة تتصل وتطلب ما تريده والمحطة تقطع الإرسال وتذيع ما تطلبه السيدة، وفوجئت المحطة يومًا بالبوليس يحاصرها ويفتش المحطة ويقبض على حبشي جرجس وتستدعي عبد الوهاب وصالح عبد الحي للتحقيق في النيابة.. ومع التحقيق اكتشفوا أن السيدة تتزعم عصابة تهريب مخدارات وكانت تراسلهم عن طريق الإذاعة فأغنية عبد الوهاب "الجو رايق" تعني أن الوقت مناسب للتهريب، وأغنية صالح عبد الحي "في الجو غيم" تعني أن البوليس لهم بالمرصاد.. ترافَع عن الإذاعة والمطربين "أ. إسماعيل وهبي" وأثبت حُسن نيتهم في التعامل مع السيدة.



ومن المواقف الطريفة الأخرى: كتب الناقد «سيد نجيب» ينتقد وبشدة صوت مطرب إذاعة حبشي «الشيخ محمود صبح»، وطالبه في مقالاته أن يكف عن الغناء ويعود لمهنته الأصلية كقارئ، فما كان من الشيخ صبح قبل أن يغني وصلته الغنائية إلا وسبَّ الناقد في الميكرفون: «اسمع يا ناقد يا مجهول.. اسمع يا جاهل.. أنا دلوقت هسمّعك موسيقى وطرب عمرك وعمر جدودك ما سمعوها.. اسمع بقى.. اسمع الليالي.. اسمع البياتي.. خد في عضمك.. وكل يوم من ده لحد ما تخرس».. طال هجوم صبح مجلة روز اليوسف التي كانت تنشر للناقد، وطال صاحبة المجلة

السيدة روز اليوسف، وذات يوم قالت السيد روز لمحرريها: «الا يوجد أحد من بينكم يريحنا من شتائم هذا الرجل».. تطوع المحرر علي بليغ وقال: انا كفيل بهذا.

اتصل على بليغ بالشيخ صبح وقال له: يا راجل يا قليل الأدب.. انت بتغني ولا بتشتم الناس؟

صبح: مين اللي بيتكلم؟

بليغ: أنا صاحب المعالي «.....» باشا.. يا وغد يا قليل الحيا.. وابقى اشتمني في الميكرفون.

لم يكذّب الشيخ صبح الخبر، وقبل أن يغني وصلته انطلق يسب الباشا ويشهر به ويهينه، ووصل الخبر للباشا «الحقيقي»، وكانت فضيحة شهدت باقي فصولها المحاكم بين المطرب والباشا.

كانت برامج المحطة تبدأ في السابعة صباحًا بتلاوة القرآن الكريم ثم نشرة الأخبار ثم التعليق على الأنباء ثم إذاعة أسطوانات غنائية ثم برنامج "ما يهم المرأة"، وكان يعده ويقدمه أحد تجار أدوات الزينة والتجميل متطوعًا، بل كان يدفع للمحطة ثلاثة جنيهات شهريًا مقابل أن يقوم بالدعاية في برنامجه لترويج أدوات الزينة التي يبيعها، وفي السهرة برنامج "طبيب العيلة" وكان يقدّمه الدكتور عبد الفتاح محمد القاضي يتحدث فيه عن الأمراض الشائعة ويجيب عن أسئلة المشتركين، وفي نهاية البرنامج يعلن عن عيادته.. وفي رمضان كانت المحطة تقدم فوازير، وكانت الجوائز تُقدَّم من بعض المحلات التجارية على سبيل الدعاية .



ابتكر حبشي جرجس أسلوبًا للترويج والدعاية.. قطع الإرسال في إحدى الأمسيات وأذاع أن قنبلة انفجرت في شارع روكسي وأصابت عددًا من المحلات، والتفاصيل بعد قليل.. تلقت المحطة مئات الاتصالات للاستفسار وكان الرد "تابعونا" بعد قليل أذاع أن القنبلة هي تصفية بأسعار خيالية في محلات "نصري بلدي" وأذاع أسعارًا خيالية.. اعترض نصري على هذه الدعاية لكنه اقتنع بالنظرية الاقتصادية "الربح القليل في البيع كتير ربح كتير"، وبسبب هذه الدعاية تلقت المحطة إنذارًا من إدارة الأمن العام بسبب تكدير الأمن العام.

من أهم أدوار محطة حبشي أنها ساعدت الفنان أحمد سالم العائد من إنجلترا بعد أن درس الطيران على امتلاك طائرة خاصة.. حيث تعاملت مع أمنية سالم على أنها عمل وطني يساعد على التقدم، ويفتح آملًا جديدة للشباب، ففتحت باب التبرعات، وجمعت له مبلغ أربعة آلاف جنيه لشراء الطائرة.. كما ساهمت في نشر الأحاديث الدينية، وأذاعت أجزاءً من القرآن الكريم، وكان أول من قرأ القرآن أمام الميكرفون "الشيخ محمد الزول"، وهو ما اعترض عليه عددٌ من رجال الأزهر، فذهبوا إلى مقر الإذاعة يوبخون صاحبه: كيف تسمح لنفسك بإذاعة القرآن في الراديو الموجود في مكان لا ندري إن كان طاهرًا أو غير طاهر.. ردَّ حبشي بما أنهى الحوار قبل أن يبدأ: إن في ذلك خدمة لكل

الناس.. فإذاعة القرآن في مكان ضل أصحابه قد يجعلهم يتعظون.

في المحطة الإذاعية الأولى غنّى إسماعيل يس أغاني عبد الوهاب، وفيها انتقل لأول مرة في تاريخه إلى غناء المنولوجات، وكانت اول منولوجاته "الحب خلاني نيلة.. مابكملش بنكلة بليلة"، وتقاضى عن كل مونولوج خمسين قرشًا، والمدهش أن الفنان أنور وجدي بدأ حياته فيها يغني دعاية لمنتجات الصابون والعطور والكولونيا والبودرة، وتقاضى عشرين قرشًا على كل إعلان، وفيها غنى فريد الأطرش أمام مايكروفون لأول مرة، وكانت أغنيته الأولى "ياريتني طير.. وأطير حواليك.. مطرح ماتروح.. ياروحي عليك"، وفيها كان أول بث حي لحفلة لسيدة الغناء العربي أم كلثوم، وفيها ولأول وآخر مرة غنّى القارئ الشيخ محمد رفعت: "وحقك انت المنى والطرب"، ولم يتقاضَ عليها أجرًا، ورفض تكرار التجربة رغم نجاحه وإلحاح المستمعين.

تعددت المحطات الإذاعية، وظهرت محطة مصر الملكية.. محطة الشرق.. راديو فيولا.. محطة عرابي.. راديو فاروق.. راديو فؤاد.. راديو رمسيس.. راديو سابو، وبدأت بينهم حرب الانتشار.. استخدمت فيها كافة الأسلحة المعنوية بما فيها إطلاق الشائعات.. في 31 مايو 1934 منحت الدولة لشركة ماركوني امتياز إنشاء محطة الإذاعة اللاسلكية، فصدرت التعليمات الرسمية بغلق المحطات الأهلية ومصادرتها وتأميمها، وعينت الحكومة حبشي جرجس موظفًا في الإذاعة الحكومية لكنه سرعان ما تقدم باستقالته بسبب تعمُّد إساءة مهندسي المحطة الأجانب له بمناسبة وبدون مناسبة.

هنا القاهرة..



في شقة من ثلاث غرف بشارع علوي بوسط البلد عام 1934 نشأت أول إذاعة مصرية رسمية، وكان يجلس فيها مدير الإذاعة المصرية «مستر فيرجسون» البريطاني ويعاونه اثنان من مواطنيه، وتحت رئاستهم كل من محمد سعيد لطفي مستشارًا للبرامج العربية، ومدحت عاصم مستشارًا للموسيقى، وأحمد سالم كبير المذيعين، ومحمد فتحي، ومحمد كمال سرور المذيعيان.. هيمن البريطانيون على الإذاعة، ومنعوا الضيوف من تداول القضية المصرية في الإذاعة، وكانت البرامج تخضع لرقابة قلم الدعاية بالسفارة البريطانية.

كان كل مذيع يقرأ النشرة بالعربية والإنجليزية والفرنسية، وقد اوفدتهم الإذاعة على نفقتها إلى مدارس لغات ليتعلموا فيها النطق السليم، وكانوا بالإضافة لكونهم مذيعين، ووظيفتهم خلف الميكرفون إلا أن الاتفاق مع الضيوف الفنانين والأدباء، وتحرير عقود الاتفاق كانت مسئوليتهم، وإذا مرض أحدهم عمل الآخر ليل نهار، فإذا انتهى من إذاعة السهرة، قضى ليلته في الأستوديو ليفتتح الإذاعة صباحًا، وكان صوت الإذاعة لا يصل أبعد من أسيوط.

في الساعة الخامسة والنصف مساء يوم 31 مايو 1934 بدأ صوت الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية.. حين خرج صوت أول مذيع مصري يقول «آلو.. آلو.. هنا الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية»

كان الصوت صوت أحمد كمال سرور.. عدلها بعد ذلك كروان الإذاعة محمد فتحى إلى «هنا القاهرة»، وكان البروجرام لليوم الأول في الإذاعة ما تيسر من القرآن الكريم بصوت قيثارة السماء المقرئ محمد رفعت، وبعدها كلمة رئيس الوزراء عبد الفتاح باشا يحيى، ويختم البروجرام بكلمة مستر فيرجسون.. في بادئ الأمر رفض الشيخ محمد رفعت تلاوة القرآن أمام مايكروفون الإذاعة حتى يستفتي في الأمر أهل العلم.. فشلت كل مساعي مستشار البرامج العربية محمد سعيد لطفي أن يقنع الشيخ رفعت.. لجأ الشيخ لأحد أعضاء هيئة كبار العلماء التابعة للأزهر الشريف وهو الشيخ السمالوطي، والذي أفتاه أن لا على الأمر شيء وانه حلال.. تردد الشيخ في قبول الفتوى وسعى لمقابلة شيخ الأزهر محمد الأحمدي الظواهري، وسأله عن رأيه.. رد عليه الشيخ الظواهرى: أنا اشتريت امبارح راديو علشان اسمعك انت.



اطمأن قلب الشيخ رفعت، وشارك في افتتاح الإذاعة المصرية في يومها المحدَّد.. بداها كمال سرور بصوته، والقى أحمد سالم كلمة رئيس الوزراء، وختم البروجرام محمد فتحي.

كان مدير الإذاعة البريطاني من هواة تقليد الطيور

والحيوانات، وصنع المؤثرات الصوتية بيديه وقدميه.. استعان بزوجته وانجليزيتين صديقيان، وقدموا جميعًا فقرة إذاعية فيها تقليد الحيوانات والطيور بالإضافة إلى برنامج للأطفال ناطق بالإنجليزية.

كان عقد أم كلثوم ينص على غنائها وصلتين، وكل وصلة 30 دقيقة.. تتقاضى عنهما خمس وعشرين جنيهًا بما في ذلك أجور الموسيقيين، وعقد صالح عبد الحي ينص على غنائه وصلتين، وكل وصلة 60 دقيقة.. يتقاضى عنهما عشرين جنيهًا، وعقد عبد الوهاب فيه زمن غناء أم كلثوم، وأجرة صالح عبد الحي.. فتحية أحمد كانت تتقاضى عشرين جنيها، ونجاة علي وتختها تتقاضى خمسة عشر جنيها، ومحمد عبد المطلب عشرة جنيهات، وفرقة مصطفى العقاد للتواشيح كانت تتقاضى اثني عشر جنيها.. أول فرقة موسيقية إذاعية كانت مكوَّنة من مدحت عاصم وفريد الأطرش وفريد الغصن، وكانوا جميعًا يعزفون على آلة واحدة وهي العود، وكون سامى الشوا فرقته الموسيقية، وكانت بدون مطرب، والشوا يعزف على الكمان لحن المطرب في الأغاني القديمة والحديثة..



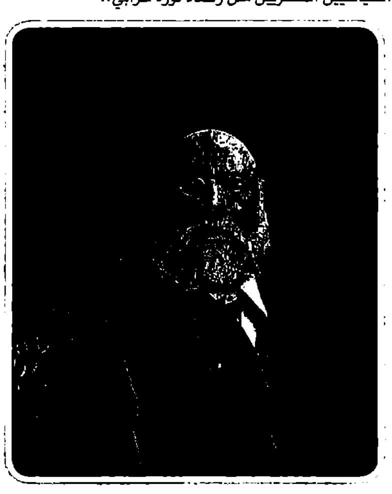
لم تكن الإذاعة تعرف التمثيليات الإذاعية في ذلك الوقت، واكتفت بتقديم الديالوجات التمثيلية من المسرحيات العالمية بصوت لمذيع الإذاعة وعنصر نسائي يساعده، وسبق أنور وجدي غيره من الفنانيين فشارك في كتابة ديالوجات وكان أجره جنيهًا ونصف عن الحلقة، أجر التمثيل والتأليف والإخراج والعنصر النسائي، وكانت آمال زايد وشقيقتها جمالات زايد من أوائل العناصر النسائية انضمامًا للإذاعة، ولحقتها الرائعة زوزو نبيل.

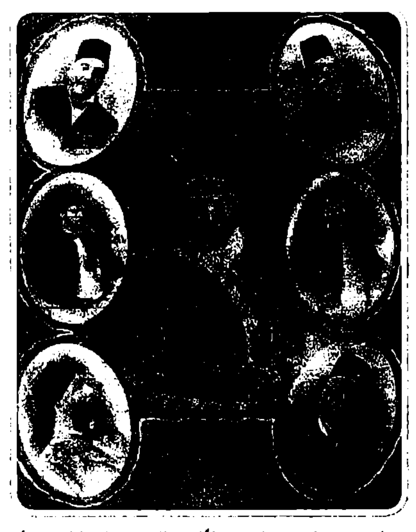
احتضنت الإذاعة في ذلك الوقت فن المونولوج وأبطاله: حسين المليجي ونعمات المليجى، وكانا يتقاضيان خمسة جنيهات عن كل حفلة، وأشهر منولوجاتهما «سوسو.. حنتوسو.. ياحلوتك يا خفافتك يا سوسو»، وضمت الإذاعة إليها منولوجست مصر الأول محمد سليمان، ومحمد كامل، وحسين إبراهيم مقلد النساء الشهير.. ومع ظهور إسماعيل يس وشكوكو فرغت لهما ساحة المنولوج في الإذاعة المصرية.



هنا.. منفى عرابي

المنفى تهجير قسري، واقتلاع الأشخاص من أوطانهم، وهو في نظر الحكومات عقوبة بديلة لعقوبة الإعدام تصدر ضد السياسيين لمنع وصول تأثيرهم الثوري على الجماهير، وهي العقوبة التي طالت كثيرًا من السياسيين المصريين مثل زعماء ثورة عرابي..





هنا منفى عرابي.. عشرون عامًا في المنفى عاشها الزعيم احمد عرابي.. مجهولة الأحداث.. كيف عاشها بعيدًا عن الوطن الذي وهبه كل حياته؟.. وعرَّض نفسه للموت من أجله مرات ومرات.. كيف كانت تمر عليه الأيام والليالي؟.. وماذا كانت علاقته بالأهالي طوال مدة منفاه؟.. وكيف أثر فيهم وأثروا فيه؟.. ومتى بكى؟.. وبأي طريقة عاد من منفاه؟.. عشرات من الأسئلة، والإجابات عليها تكمل المشهد العام لثورته ونضاله وحياته الخاصة.. كادت أن تكون هذه الأمور مجهولة، ويبقى تاريخنا

الوطني مفلسًا لا يمتلك ردًا.. لولا رحلة الكاتب أنيس منصور لجزيرة سيلان -منفى عرابي-، وكتب فيها مستعينًا بأرشيف الصحيفة الوحيدة التي دوَّنت لحظات نزوله إلى الشاطئ "الأوبزيرفر السيلانية"، وحواره مع عدد ممن عاصروا عرابي في سيلان.. سنوات عرابي في المنفى "نشرته مجلة آخر ساعة في عددها 12 أغسطس 1959".

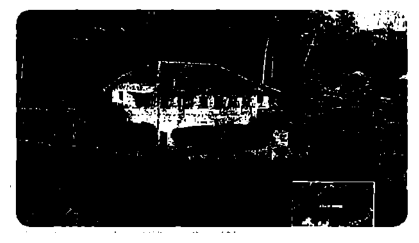
على ظهر السفينة "ماريوتيس" التي غادرت ميناء السويس في 27 ديسمبر 1882.. سبعة زعماء للثورة العرابية محكوم عليهم بالنفي في المستعمرة البريطانية سيلان والمعروفة الآن باسم سريلانكا.. سبعة زعماء كانت تهمتهم الدفاع عن الوطن، وتحريض المصريين لنيل حقوقهم وحرياتهم.. أحدثوا ضجيجًا سميًا للحرية من الاستعباد.. آمنوا أن أمهاتهم ولدتهم أحرارًا، وأنهم لن يستعبدوا ثانية.. جاهدوا وناضلوا وحاربوا.. انتصروا في البداية، وفي النهاية هزمهم الولس "الخيانة".



المنفيون على ظهر السفينة هم "أحمد عرابي، ومحمود سامي البارودي، وعلي فهمي، وطلبة عصمت، وعبد العال حلمي، ومحمد فهمي، ويعقوب سامي"، وخمسون فردًا من الأبناء والزوجات.. الجميع تحت حراسة عشرين جنديًا مصريًا برئاسة موريس بك، ومترجم خاص للزعماء هو سامي عطا الله.. أربعة عشر يومًا هي مدة الرحلة من السويس إلى سيلان.. انشغل فيها الزعماء بتعلم اللغة الإنجليزية.. حالتهم الصحية كانت طبيعية باستثناء عبد العال حلمي الذي كان يعاني من ضيق في التنفس، وكانت تنتابه الكوابيس أثناء نومه في فترة الرحلة.. حتى اعتاد زملاؤه على سماع صوته وهو يستيقظ مفزوعًا.. التهجير القسري أمر تضيق به النفوس لو تعلمون.



تجمع عدة آلاف من انحاء سيلان على شاطئها في انتظار وصول
اخرة "ماريوتيس".. آملين في رؤية الزعيم المصري أحمد عرابي..
ائد الذي كاد أن يهزم بريطانيا التي تحتل جزيرتهم، والرجل الذي
ساله منحهم حُلم الاستقلال، فأطلقوا عليه لقب "البطل عرابي"،
مّوه أحمد عرابي المصري.. في (10 يناير 1883) كتبت صحيفة
؛بزيرفر السيلانية "ظهرت في الأفق من بعيد الباخرة التي تقل الثوار
صريين، وفي مقدمتهم احمد عرابي، ويبدو أن الباخرة لن ترسو على
اطئ قبل الكشف على صحة الباشاوات، وعلى ذلك فلن يتم نزولهم
، الشاطئ قبل صباح اليوم التالي.. اقتربت السفينة من الشاطئ..
شيء غير عادي عليها.. كل ما هنالك هو بعض العساكر المصريين
لابسهم الزرقاء، وبعض بحارة الباخرة، والشيء غير العادي هو
وجود على الشاطئ.. الناس يقفون على أطراف أصابعهم.. أحد
وارق ابتعد عن الشاطئ وكان عليه بعض كبار الضباط البريطانيين،
سعدوا إلى الباخرة، وأقاموا فيها حوالي ساعة ونصف ساعة.. تحدثوا
، عرابي وإلى الزعماء.. يبدو أن الضباط البريطانيين قد طمأنوهم
ى الحياة هنا".



صعد مراسل الصحيفة إلى الباخرة، وقابل عرابي، وكان انطباعه
ه أنه إنسان طيب.. السماحة واضحة على وجهه، وله ابتسامة فيها

بساطة وكبرياء، ويبدو من كلامه وحركاته أن الإنسان من السهل أن يحبه.. انتهز باقي الزعماء وجود المُراسل، وسألوه عن الجزيرة وأهلها وطباعهم وعاداتهم ومستوى المعيشة.. سألوه بعد أن استسلموا للأمر الواقع.. استسلموا لمصيرهم.. أما عرابي فاستفسر منه عن عدد الصحف التي تصدر بالإنجليزية وعدد الصحف التي تصدر بالعربية، وعدد المتحدثين باللغة العربية.

1 يناير عام 1883 الصحيفة تصف دقائق نزول الزعماء على الشاطئ..

" لقد كانت الحماسة أمس فاترة.. بلغت اليوم أقصاها، فقد بلغ القلق بالناس درجة غير معقولة، وكل واحد منهم يريد أن يرى الزعيم المصري عرابي، وكانت الساعة المحددة للنزول إلى الشاطئ هي السابعة، ولكن البوليس لاحظ أن النزول سيكون عسيرًا جدًا، ولذلك طلب من الجماهير أن تبتعد عن الميناء، وإلا فلن ينزل عرابي وسيبقى في السفينة.. أول من نزل إلى الشاطئ كان علي باشا فهمي وأفراد أسرته.. نزلوا في زورق في صمت تام والجماهير تهمس، فقد تصوروا أنه عرابي، وحتى عندما نزل إلى الشاطئ وركب إحدى العربات صارت الجماهير تطارده وهو يبتسم.. ثم نزل بعد ذلك محمود سامي البارودي ومحمود فهمي الاثنان معًا "حدث مع الأهالي معهما مثلما حدث مع علي فهمي.. اعتقدوا أن أحدهما هو أحمد عرابي"، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر نزل عرابي باشا هو وأفراد أسرته وعددهم ستة.. هنا هتفت له الجماهير، هجموا عليه يقبِّلون قدميه ويديه، وكان الرجل عالي الرأس كأنه يستقبل مظاهرة في القاهرة أو الإسكندرية.. وأحسَّ الناس بحيرة شديدة هل يمشون وراء عرابي دون أن يروا بقية الزعماء!!.. لم يصبر على هذا الامتحان العسير إلا القليلون جدًا، وقفوا يتطلعون إلى بقية الزعماء.. أما الألوف فقد مشت وراء عرابي.. بعد نزول عرابي نزل طلبة باشا، وبعده يعقوب سامي باشا، وآخر من نزل كان محمد فهمي وبناته الخمس وأولاده الخمسة، وكان باديًا عليه الحزن والأسى، وظن بعض الواقفين على الشاطئ أنه مريض.. فتقدَّم بعضهم يعطيه ثمارَ جوز الهند".



نزل كل زعيم في بيت مستقل، وفوجئ الزعماء أن البيوت لا
جد بها أثاث، فكتبت الصحيفة تتساءل عن هذا الوضع.. هل هو
عمّد؟.. وهل المراد بهذا زيادة معاناة المتمردين المصريين؟..
ـ تخلي لهم الجزيرة جزءًا من مستشفى الأمراض العقلية
ستضيفهم فيها؟.. أم المطلوب بناء سجن عالي الأسوار لهم؟..
د وقت قصير منح الخديوي لكل زعيم يومية قدرها "روبية"
انية قروش، ورفض أي التماسات لزيادة المخصص لهم..
ستقر عرابي وزملاؤه في مدينة كولمبو.. وأثاروا الاهتمام في أي
كان يذهبون إليه وفي كل شيء يفعلونه وفي كل كلمة تصدر من
واههم.. عندما كان عرابي يدعى إلى مأدبة عشاء عند صديقيه
شيخ محمد لبيي ومحمد قاسم، كانت المأدبة تنتهي بالهتاف
لتصفيق له.. أزعجه كثرة زواره من السائحين الأجانب حتى
ـبح منزله مزارًا سياحيًا، فقدّم شكوى لرئيس الشرطة لإبعاد
متطفلين على حياة الخاصة.

سكتت صحيفة الأوبزيرفر فترة عن متابعة أخبار الزعماء، ولم
د تذكرهم، ثم عادت إلى التشكيك في عرابي وإلى السب في
رته بعد أن شاهدت انبهار الأهالي به في ازدياد، ولم يكن لعرابي
ملائه حق الرد أو التحدث في السياسة.. أقام عرابي في كولمبو
ـع سنوات حتى عام1892.. أحبوه الأهالي، وارتاحوا إلى حديثه،

واعتبروه واحدًا من زعماء المسلمين، وكان له في كولمبو نشاط اجتماعي هـام.. فهو الذي دعا إلى تعلم اللغة الإنجليزية حتى يأمنوا شر أهلها.. في البداية عارضوه وقاطعوه.. لكنه مع الوقت أقنعهم، وزاد تعلقهم به، وقلدوه في لبس الطربوش والسروال الأبيض.. فتح عرابي باب التبرع وجمع خمسة وعشرين ألف روبية، وحصل من السلطات البريطانية في الجزيرة على مبلغ مماثل لخدمة الأهالي بعد أن قدم طلبًا بذلك، وفي يوليو 1892 وضع عرابي حَجر أساس "مدرسة الزاهرة" والتي تُعرَف الآن باسم "الزاهرة كوليدج" وانتخب عرابي أول رئيس فخريًا للمدرسة.. منح وقته لإدارة المدرسة بعد أن رفضت الحكومة المصرية أن يعمل مساعدًا لمستر "ت.ج.ليبتون" مؤسس شركة إنتاج الشاي الشهيرة، والذي كانت تربطه صداقة بعرابي في سيلان.

مع مرور الوقت فقد عرابي معظم زملائه السبعة.. فرَّق بينهم الموت أو العودة إلى الوطن بفعل المرض..

توفى عبد العال حلمي في (19 مارس 1892)، ودفن في كولمبو.

وتوفى محمد فهمي في يوليو 1894، ودُفِنَ في كاندي.

وتوفى يعقوب سامي في أكتوبر 1900، ودفن بجوار محمد فهمي.

عاد محمود سامي البارودي إلى مصر يوم12 سبتمبر 1899 بعد أن كف بصره في المنفى، ومات في يوم (12 ديسمبر 1904)

عاد طُلبة باشا إلى مصر عام 1900 بعد حصوله على العفو، ومات بعد شهور من عودته.

انتقل عرابي إلى مدينة "كاندي" بسبب سوء صحته من جو "كولمبو، وبقي في المنفى عرابي وعلي فهمي.

أجرى انس منصور لقاءً مع شخص يدعى "شري جورو"، وهو رجل متقاعد في الثالثة والسبعين من عمره، وكان جورو زميلًا لأبناء عرابي في المدرسة، ومن حواره "عرابى باشا كان رجلًا

طويلًا ممتلئًا.. إنه نوع غريب من الناس لم يكن مألوفًا بالنسبة لنا، فالناس يمشون إلى جواره وكأنهم أقزام، وكان عرابي باشا يركب حصانه ويتنقل بين الشوارع ويخرج إلى الجبل ليزور بعض أصدقائه.. أولاد عرابي كانوا زملائي في مدرسة سانت بول.. كانوا ثلاثة أو أربعة، وكانت أشكالهم تلفت النظر، فقد كان لونهم أبيض، وكانوا منعزلين عنا".. كلام شري جورو يعيدنا إلى أيام عرابي الأولى في كولمبو..

حين سألوه: هل ستُلحِق أبناءك بالمدرسة المسيحية والتي يديرها قسيس؟

قال لهم: هذا لا يؤثر في الموقف.. أولادي حفظوا القرآن.

ثم سألوه: هل عندك مانع في أن المرأة المسلمة يعالجها طبيب مسيحي؟

أجابهم : لا مانع.

وأعادوا السؤال: هل تثق المرأة المسلمة في علاج الطبيب المسيحي؟

قال: إنها تعتمد على ضمير الطبيب نفسه.

حاوطوه بهذه الأسئلة بعد أن شوَّهته الدعاية البريطانية التي أوهمت البعض أنه مسلم متعصب، وثورته إنما قامت لتحارب العقيدة المسيحية.. جعلوا من أنفسهم حماة للمسيحية، وبرروا احتلالهم للأمم أن هذا الفعل خدمة العقيدة.. راجع كتاب اللورد كرومر "الثورة العرابية" حيث صرَّح أن الحرب ضد عرابي هي الحرب بين الدول الأوربّية والعالم الإسلامي، وكرر كلمة التعصب المصري الإسلامي كثيرًا، ووصف المسلمين بالرعاع.

وقالت طاهية عرابي في حوارها عام 1959 "كان عملاقًا وضخمًا، وكان يركب الحصان، والناس كانوا يحترمونه جدًا، وإن هذا الشارع كان معروفًا أيام عرابي باسم شارع عرابي، وأكدت أن الناس هم من قتلوا عرابي.. وأن القتلة هم هؤلاء المصريون..

فلو كانوا أقوياء لطردوا الإنجليز من مصر ومن جزيرة سيلان". واضافت: "والناس هنا كانوا يتزاحمون على عرابي.. لكنه كان يتأوّه آخر الليل دون أن يشكو لأحد".. كان يتأوه آخر الليل.. وجع الغربة الذي كان يصاحب أمنيته "أريد أن أموت في وطني.. أريد أن أدفع في البلد التي دافعت عنها".

في سبتمبر 1901 أصدر الخديوي عباس حلمي الثاني قرار عفو عن من بقي من المنفيين على قيد الحياة: أحمد عرابي وعلي فهمي.. أحس بالسعادة تمتلكه بعد أن حقق الله أمنيته.. لم يلتف عرابي إلى أن القرار لم يخصص أيّ مبالغ تغطي تكلفة عودته.. لم يشغل باله سوى بفكرة واحدة أنه سيعود إلى مصر.. هنا وجد عرابي محبة الناس في سيلان تتحول إلى مظاهرة أحاطته واحتوته، واحترمت رغبته في الرجوع إلى وطنه.. بادروا، وجمعوا من بعض الروبيات لتغطية نفقة العودة.. عطفوا عليه كما كان يعطف عليهم بنصائحه ورعايته لهم وبتعليمهم..

قبل السفر بستة أيام زار المدرسة التي أنشأها: "مدسة الزاهرة" لآخر مرة، ووقف الطلبة ينشدون..

بحمدك يا بارئ العالمين

وانت الرحيم وانت المعين

بارك سرنديب في علمها

ومعهد آدابها الزاهرة

واحسن لأبنائها الأخرة

ثم هتفوا بحياة المؤسس والمدير الشرفي للمدرسة، وتمنوا له عودة سالمة إلى وطنه.. عندها فقط لم يتمالك عرابي دموعه، ولأول مرة منذ وصوله إلى الجزيرة شاهدوه يبكي، وكم من مرات بكى سرًا.. بكى من شدة التأثر، ومن الحزن والأسى على وطنه، وعلى فراقه الجزيرة التي عاش فيها عشرين عامًا من عمره.. بكى وأبكى الجميع معه.



غـادر عـرابي الجزيرة يـوم (18 سبتمبر 1901)، ووصـل إلى السويس أوائـل أكتوبر.. عـاش عشر سنوات في وطنه مهانًا ومنسيًا.. شاهدهم يبدلون التاريخ، ويشوّهون الرموز، ويحتقرون الزعماء، ويكتبون في صحفهم على لسانه أشياء لا تصدّق منها شكره للإنجليز على ما فعلوه من إنجازات في مصر.. لم يكن له حق التكذيب والرد.. ما باليد حيلة، وغادرنا في (21 سبتمبر 1911).

فهرس المحتويات

إهداء 5

اقرا الحادثة «100 سنة جريمة» 7

الأرصدة الإسترلينية 15

الرقابة وأفلام أثارت ضجة 19

نوستالجيا العفريت 33

الفرح 1932م 37

المشخصاتية 40

ترقيم المنازل 62

تعاطفك لوحده مش كفاية 68

حرامي الحلة 76

سينما أونطة 82

شفتي بتاكلني انا في عرضك 108

عرابي وبنك مصر 118
عندما أشهر العميد إسلامه 122
فن الموالد 126
كتيبة الإعدام 137
ليلة القبض على 154
من وحي أزمة الدستور 163
نائب الأمة والجالس على الأريكة 171
هنا القاهرة 181
هنا .. منفى عرابي 191
فهرس المحتويات 203



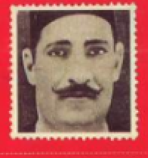
"عبد النعيم محمدين" اشترى أرض العشش عام 1897، وطهرها من الحيوانات المفترسة، واستصلحها حتى أصبحت حي الزمالك.



أسرع **إبراهيم موسى** ووضع مسدسه في جيبه، وسار وكأن الأمر لا يعنيه.. بعد أول عملية اغتيال في صفوف الجنود الإنجليز، وبداية كتيبة الإعدام.



محمد منصور **"خُطّ الصعيد"** السفاح الأشهر والأكثر إجراماً في مصر.. اقرأ الحادثة "100 سنة جريمة".



وقف نِدًّا للأمير محمد علي، ولم يُفرِّط في أرضه، وتمسّك بها، فاغتالوه، وخدعوك وقالوا: **"عوّاد باع أرضه"**.



غادر مصر للمرة الثانية والأخيرة وللأبد بعد أزمة فيلمه "لاشين"، وودّعها بمقال "أنا هارب من السينما في مصر".. **الفنان حسن عزت**.

تصميم الغلاف كريم

